حضرة الشيخ الكافر

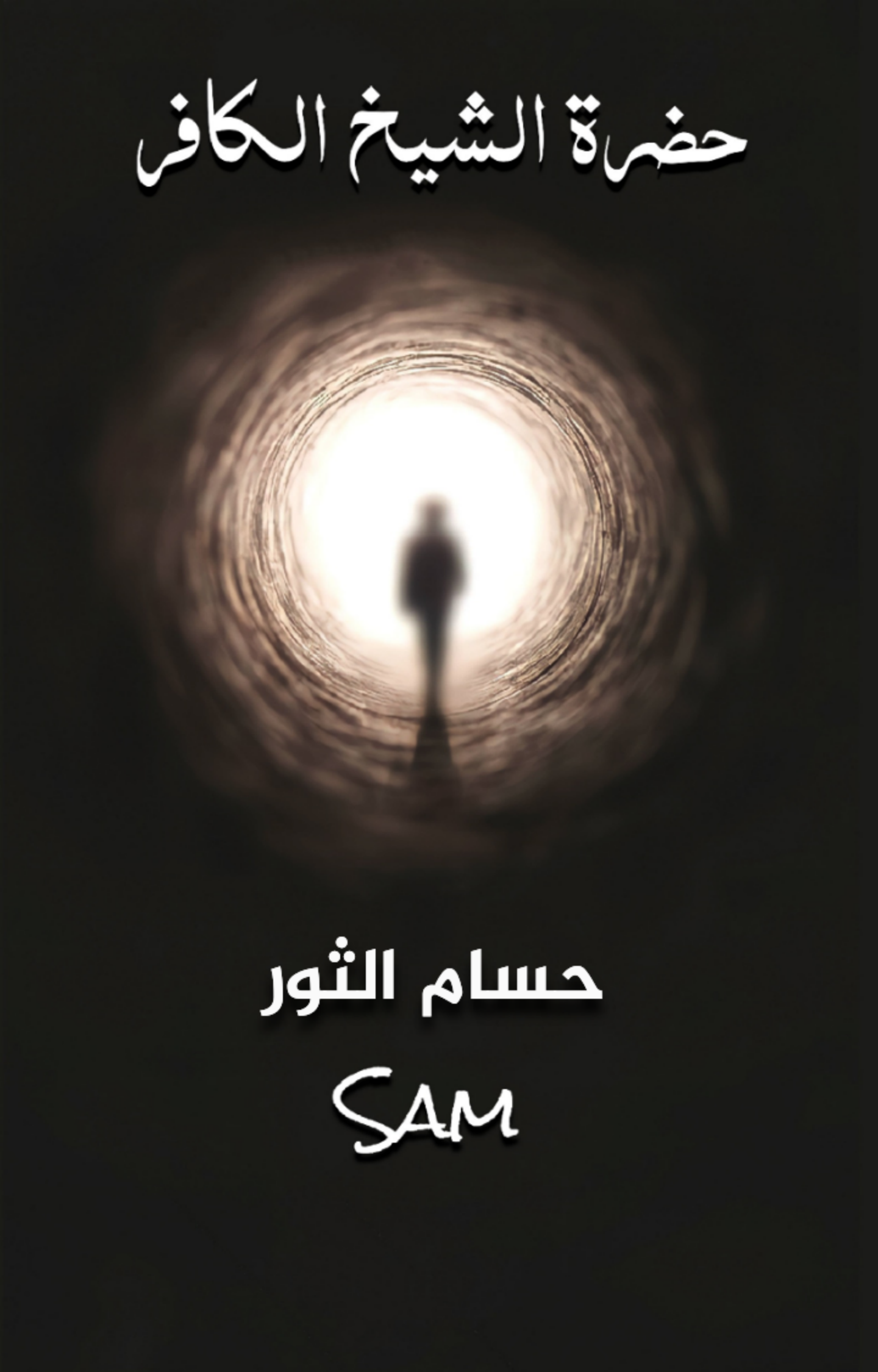

حسام الثور

SAM

حضرة الشيخ الكافر

حسام الثور

Sam

صدرت الطبعة الأولى في أكتوبر ٢٠٢٢م

رقم الإيداع (446) بتاريخ ١٨-١٠-٢٠٢٢م

في الهيئة العامة للكتاب – صنعاء

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة

حضرة الشيخ الكافر

حسام الثور - Sam

إهداء أول :

إلى من مشينا سوياً في رحلة أول مؤلّف لنا

إلى من ما أخبرتُ أحداً قط عن اسم كتابي إلا وقد أخبرتُهُ عن اسمِ روايته افتخاراً وفرحاً بهِ .

إلى "نبيل الدعيس" مؤلف

رواية "دوستويفسكي في صنعاء"

إهداء ثاني :

إلى من علمني أن أستمع لكافة الآراء ثم أختارُ منها ما اقتنعتُ به حتى لو كان مخالفاً لأقوال بعض العلماء والأئمة الكبار لأن الله سيحاسبني بعقلي لا بعقولهم.

إلى من قال لي : إن وجدتَ الحقيقة فخُذها أينما وجدتها حتى ولو وجدتها لدى مخالف لك، اخضع للحقيقة ولو خرجَت من فمِ طِفل.

هذا العمل لم يكُن سيكتمل بهذا الشكل لولا أن وفقني الله بالتعرُفِ عليك.

لا داعي لأن أبوحَ باسمِكَ لدى أهلِ الأرض، يكفيك أن اسمك معروفٌ في ملكوتِ السماء.

مقدمة

قبل أن أشرع في كتابة هذا المؤلّف قمت بقراءة نصّ أعجبني رغم أني لستُ على وفاق مع كاتبه ولكن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها فهو أحقُ بها.

(حتى وإن لم يكُن الحديث صحيحاً إلا أني استخدمه مقام الحكمة المنسوبة لأي شخص)

أخيراً : أردتُ أن يشرع القارئ بقراءة النصّ الذي حدثتكم عنه قبل أن نبدأ:

"هذا حديث سوف يُنكِرهُ الكثيرون، لأنهم يودون أن يسمعوا ما يحبون، فالنفس تأنس لما تهواه، وتعشق ما استقرت عليه وما أَلِفَته، ويصعب عليها أن تستوعب غيره حتى لو تبينت أنهُ الحق أو توسَمت أنهُ الحقيقة.

هذا الحديث قد يُحيي عضواً أهملناه كثيراً وهو العقل، وقد يستعمل أداة تجاهلناها كثيرة وهي المنطق"

كومة تراجُع

- شكراً لك على مجيئك وعلى تفريغ بعض وقتك لي.

- حباً وكرماً.

- ماذا تودُ أن تشرب ؟

- كوباً من البُن الثقيل من فضلك.

من أين أبدأ ؟ وبأي سؤالٍ أبتدئ ؟ يجب أن لا أظهر بمظهر المتوتر بل بمظهر الواثق من نفسه.

كل هذا كان يدور في رأس فارس أثناء انتظاره لتجهيز كوبّي البُن في مقهى سمسرة وردة في صنعاء.

أتى فارس محمّلاً بكوبين من البُن يظهر من لونهما أن أحدهما خفيف البُن والآخر مركّز قدّم الضيافة ثم جلس وقال:

- هل نستطيع الآن الخوض في الموضوع الذي اجتمعنا لأجله ؟

- تفضل..

- قبل أن أبدأ بالحديث عن الموضوع يا شيخ عدنان أود أن أخبرك بأني ما اخترتك للتحاور معك إلا لأنك مختلف عن بقية الشيوخ .

متفهم وعقلاني وذو منهج منطقي وأسلوب راقي بل وحتى ثيابك مختلفة عن المشايخ فأنت ترتدي البناطيل في أكثر أيامك كما أن حجم لحيتك عادية مقارنةً بحجمها عند الكثير من الشيوخ وكأن علامة الفقه عندهم هي طول اللحية وقِصَر الثوب.

ولكن الحمد لله بأن من أصبح يطيل لحيته هذه الأيام يكونُ شخصاً يبحث لهُ عن مشاكل مع السلطة.

- وصفك لي كان من لطيف عباراتك ولكل شيخ حرية اختيار ملابسه وهيئته مادام أن ذلك لا يخالف شرع رب السماء.

- ولكن يا شيخ ....

حسناً دعني لا أتكلم في هذا الموضوع ولنبدأ في الموضوع الذي اجتمعنا لأجله..

أنا يا شيخ عدنان ولدت ككل شبابنا لأب وأم مُسلمَين ولكن ليسا ملتزمَين دينياً وهذا هو حال أغلب الأسر اليوم.

الصلاة غير ملتزمين بها، الأخلاق مهمة، صوم رمضان وصلاة الجمعة هما شيئان مقدسان لا يجوز تركهما.

مرت أيام بالطبع كبُرت صِرْتُ في خريفي العشرين.

سألت نفسي أسئلة يبدو أن الجميع سأل نفسهُ إياها ولكن قلة من كان لهم الجرأة ليواجهوا الحقيقة المُرة التي تُعاكس المجتمع وتُقابِل توجهاته وتُخالف ما ظلوا يُلقنونهُ منذُ نعومة أظفارهم.

أنا اليوم وصلت لقناعة بأن المقولة الأشهر لماركس بأن

"الدين أفيون الشعوب" هي مقولة تتفق مع الواقع.

ألا ترى أن الدول الغير متدينة اليوم هي الدول الأكثر تطوراً ؟

بعكس الدول المتدينة تمشي من انحدارٍ لآخر وتقوم من سقطةٍ لتقع في أخرى.

تراجُع ثقافي، ضعف اقتصادي، ظلم سياسي، تدهور أخلاقي

بينما أولئك الذين نسميهم كفار من إنجازٍ لآخر ومن تطور كبير لأكبر.

لنكن جريئين ونواجه أنفسنا ونعترف بأن الدين يخدرنا أكثر مع مرور الوقت وأن علينا أن نتخلى عنه كي نلحق برَكب التطور، هذا غير أننا اليوم لم نعد بحاجة إليه فقد انتهى عصر الخرافات وأنار العلم عقولنا وأراح قلوبنا بعكس الأديان التي شتتت الناس وجعلتهم أعداءً كلُ فريقٍ منهم يدعي بأن أتباعه سيدخلون الجنة وبأن مخالفيهم هم الذين خلق الله النار لأجلهم لقد ناسب الدين المجتمعات لفترة من الزمن ثم بسبب عدم صلاحيته وبسبب تقليدنا الأعمى لموروثات آباءنا وأجدادنا حصل تجمُد لعقولنا وتدهور لأوضاعنا المتدهورة أساساً.

حضرة الشيخ بكل صراحة أنا وبعض أصدقائي أصبحنا ملحدين ولكن بالسر عن المجتمع وعن الأهل، لأنهم متعصبين كما تعرف، والصراحة أغلبيتنا متابعين لك ولقناتك على اليوتيوب والتي لطالما تناولت فيها مسائل عديدة منها الإلحاد ونحن في نفس الوقت متعجبين كيف لشخص

بمثلِ عقلك وسعةِ ثقافتك أن يؤمن بكل هذه الأشياء الدينية الغير منطقية علماً أن احترامنا كبير لوجهات نظرك ولذلك أتيت اليوم كي أناقشك بخصوص موضوع الدين ومسألة وجود إله أو عدمه.

ابتسم الشيخ عدنان ابتسامة تدل على فطنة وكياسة وقال:

- ءأكملت ما لديك ؟

بذكاءٍ ردّ فارس: حتى الآن نعم

رشف الشيخ عدنان من البن وقال عندي لك إذاً اقتراح.

- وما هو ؟

- أن تكون جلسة اليوم جلسة تعارف عادية وتكون لنا جلسة أخرى تحضر فيها مع أصدقائك الذين يشاركونك أفكارك نتناقش فيها كلنا ونستفيد جميعنا من وجهات نظر بعضنا البعض.

- حسناً موافق ولكن ما رأيك بحكم أننا قد خرجنا اليوم أن نبدأ نقاشنا أنا وانت؟

- لا تتعجل، عاجلاً أو آجلاً سنتناقش أبلغ أصدقائك بما اتفقنا عليه وليجهز كل شخص منهم أسئلة لم يجد إجابات لها لنحاول جميعنا إيجاد إجاباتها التي تنتظرنا بإذن الله.

- حسناً سأنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

وتحدثا أحاديث تعارف وبعض الأحاديث السياسية والثقافية أي أنهما تكلما في كل شيء بشكل سطحي مؤخِرين الحديث الأكبر لذاك اليوم.

وعي جديد

عاد الشيخ عدنان من المقهى على متن حافلة وبدأ بممارسة عادته الغريبة.

قام بإخراج هاتفه من جيبه وقام بتشغيل برنامج Xodo الخاص بقراءة ملفات ال PDF كي يقرأ كتاب أو رواية، وظل على حاله حتى وصل الباص لمحطته الأخيرة.

بقي القليل حتى يؤذن المغرب لذلك توضأ وتجهز ليصلي ثم ليذهب لمجلسه المتفرد المتميز.

سيذهب لطلابه لأجل التحفيظ الخاص بهم، لكنه ليس كأي تحفيظ. كل التحافيظ عملها هو أن تساعد الطلاب على حفظ القرآن ولكن تحفيظ الشيخ عدنان عمله أن يفهّم الطلاب القرآن كاملاً في الاعتبار الأول قبل أي عملية حفظ له.

في أحد المرات قال الشيخ عدنان لطلابه:

- أذكر أنهُ بعد إكمالي لحفظ المصحف أصابني بعض الندم كنت أتمنى أن أقضي السنوات التي بذلتها لأجل حفظ القرآن لفهمه لا لحفظه.

ولكن فيما بعد ذهب الندم لأني انتبهت بأني لو لم أكن أحفظه حينها لضيعت وقتي لأنه لم يكن يوجد شخص لديه الاستعداد ليفهمني القرآن بعكس الكثيرين الذين كان لديهم الاستعداد لأحفظ لديهم القرآن.

أيها الطلاب تخيلوا أني أعطيتكم رسالة وكتبت لكم في هذه الرسالة أوامر ونواهي وتفاصيل مهمة ثم جئتكم بعد أسبوع لأرى ماذا فهمتم من الرسالة فوجدت حينها جميعكم قد فهمتم جزء منها ولكن ليس كلها، وفي المقابل جميعكم قد حفظتموها عن ظهر قلب كحفظكم لأسمائكم، فأتيتكم حينها معاتباً بأن الوقت الذي استغرقتموه في حفظ رسالتي كان مِن الأولى لكم أن تقضوه في فهمها لا حفظها فما أعطيتكم إياها إلا لتفهموها ثم لتعملوا بما فيها لا لكي تحفظوها وترددوها ولكن لا مانع بعد فهمها أن تحفظوها.

القرآن هو رسالة الله لنا أرسلها كي نعمل بها ولن نستطيع العمل بها إلا حين نفهمها، انحرمت قديماً من إيجادي لشخص يساعدني في عملية فهم القرآن لذلك قررت أن أساعد من يبحثون عن فهمه كي لا يعيشوا الحرمان الذي عشته.

الأمنية التي تمنيت وجودها سأحققها لغيري .

سأل حينها يحيى وهو أحد طلاب الشيخ قائلاً: أستاذ عدنان هل يوجد أجر على حفظ المصحف ؟

ابتسم الشيخ وأجاب : طبعاً يوجد ولكن يبقى أجر فهمه أكبر وأجر العمل به بعد فهمه أكبر وأكبر، فما الغاية من فهمه إلا العمل به.

طالبٌ يُدعى علي عليه علامات وقار رغم صغر سنه رفع يده مستأذناً ليقوم بمداخلته

سمح له الشيخ فقال الطالب : برأيك من أكثر من يحتاج لحفظ المصحف من بين فئات المجتمع ؟

أجاب الشيخ : برأيي أن العلماء و الفقهاء والقضاة و الباحثين والمفكرين الإسلاميين هم أكثر فئة تحتاج لحفظ المصحف من طبقات المجتمع، لأسباب كثيرة منها أن الكثير من المواقف التي يعيشونها تدعوهم لاستحضار الآيات القرآنية بنصوصها، من هذه المواقف : رحلات بحثهم، ومناظرات مخالفيهم، وإفتاء الناس بذكر الدليل لا بمجرد فتوى عارية عن الأدلة التي عن طريقها توصل لهذا الاستنتاج.

رغم قِصَر كلام الشيخ عدنان في ذلك اليوم إلا أنه كان كلاماً عميقاً جعل الطلاب يأخذون فِكراً جديد في كيفية التعامُل مع رسالة الله.

عقوبة إلهية

- ستكون لدينا اليوم وقفة مع آية قرأتها قبل أيام ولفتتني حيث أني شعرتُ بأني أقرأها لأول مرة وهي قول العزيز في سورة الأنعام

﴿وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَتهُم آيَةٌ لَيُؤمِنُنَّ بِها قُل إِنَّمَا الآياتُ عِندَ اللَّهِ وَما يُشعِرُكُم أَنَّها إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ (109) وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُم وَأَبصارَهُم كَما لَم يُؤمِنوا بِهِ أَولَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ﴾

ثم قال الشيخ عدنان وعليه ملامحٌ جِدّيةٌ مصبوغةٌ بملامحٍ حكيمة :

الآية البليغة تحكي عن جماعة من الناس كانوا يُقسِمون بالله ليس أيماناً عادية بل أيماناً مُغلظةً وبكلِ توكيدٍ وثقة أنهم عندما تأتيهم الحقيقة الجلية والتي حصروها في معجزة بصرية أنهم حتماً سيؤمنون، فيرُد عليهم الحكيم أن اختيار نوع المعجزة عمل ينفَرِد بهِ هو وحدهُ جلّ شأنه، ليس لأحد من عباده حق أن يختار نوع وشكل المعجزة إلا إن تغمدهُ الله بكرمهِ وفضله ولكن عليه حينها أن يكون أهلاً لهذا الكرم والفضل الإلهي

رفع يحيى يده وسأل : أستاذ هل معنى لئِن جاءتهم آية هو لئِن جاءتهم معجزة ؟

قال الشيخ : نعم الآية هنا هي المعجزة

ثم عاد الشيخ عدنان لكلامهِ فقال : دعونا ننسحب الآن للحظات من النص القرآني

كلنا نعلم أن معجزة النبي محمد الكبرى هي القرآن فلنفترض لو كانت معجزته أن يأمر المطر بالنزول فينزل بإذن الله أو أن تكونَ لهُ خاصيةَ أن يطير مثلاً أو أن يأمر الذهب فيخرج من باطن الأرض، لكنّا نحن اليوم بعد أكثر من 1400 عام من تاريخ الهجرة من العبودية للعباد والشهوات إلى العبودية لرب العباد والنزوات ماذا سنستفيد من تلك المعجزة في ذلك الزمن التي آمنا بها دون أن نراها هل ستكون لنا خريطة سنحيا بها ؟

ممّن وكيف سنتزوج مثلاً ؟ ومن سيحكمنا وعلى أي أساس وما شروط تجارتنا وبيوعنا وكيف سنتعبد الخالق وكيف سنتعامل مع الخلق

كنا سنجتهد في كل هذا بمفردنا كما يجتهد الذين يقولون أنهم نصارى حيث لا شريعة لديهم توضح لهم كل هذه التفاصيل .

لنأتي الآن للآن حيث لا يوجد لدينا هذه المعجزات ولكن لدينا معجزة هي بمثابة كل الملامح والأساسيات التي سنحتاجها اليوم ولا غنى لنا عنها وهي التي لازلنا مستفيدين منها رغم مرور كل هذه القرون بعكس ما لو كانت معجزة بيئية إن صح تسميتها هكذا، أيهما أكثر فائدة للأمة المؤمنة؟ هل تلك المعجزات أم هذه المعجزة التي حتى اليوم لم ولن تستنفد أغراضها فيُصبح البشر غير محتاجين لها؟

من عاش في حياة النبي محمد من غير المؤمنين به كانوا لا يفكرون إلا بمعجزة تفيدهم وحدهم لم يكن لهم هَم بأن يختار الله معجزة تستفيد منها الأمة التي ستنشأ جمعاء وعلى مدى قرون لكن الله كان يفكر بمصلحة القرون الآتية أيضاً لذلك اختار المناسب والأصلح للجميع.

تحمّس علي وقال : سبحان الله ربما حتى لو جاءتهم الآية التي طلبوها لم يكونوا ليؤمنوا بها كما قال الله في آخر الآية "وما يُشعِرُكُم أَنَّها إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ "

جاءت مداخله أخرى من ثالث تلاميذ الشيخ واسمهُ أمجد ليقول توجد آية في سورة الأنعام يقول اللّهُ فيها

﴿وَإِذا جاءَتهُم آيَةٌ قالوا لَن نُؤمِنَ حَتّى نُؤتَى مِثلَ ما أوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصيبُ الَّذينَ أَجرَموا صَغارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذابٌ شَديدٌ بِما كانوا يَمكُرونَ﴾

وآيةٌ أخرى نسيت الآن في أي سورة هي ولكن نص الآية هو

{ وَما مَنَعَنا أَن نُرسِلَ بِالآياتِ إِلّا أَن كَذَّبَ بِهَا الأولونَ }

قال يحيى ولكن ليس شرطاً أنهُ إن كان الأولين لم يؤمنوا بها أن لا يؤمن بها هؤلاء

فرد عليه علي باختصار وهدوء أليس اللّهُ بأدرى بعباده وبمصالح الأمة؟

ابتسم يحيى وطأطأ رأسه متفهماً أن صحيح

وعاد الشيخ ليواصل كلامه

الآية تقول ونقلب أفئدتهم وأبصارهم وهي تصف العقوبة التي عاقبهم بها الله وهي حالة الشك والحيرة وعدم الاطمئنان لرأي يؤمنون به بل يعيشون متقلبين في صحاري التيه والعَمَه.

هذه هي العقوبة فما هي الجريمة التي اقترفوها ؟

شارك علي وقال : حتماً هي جريمة بليغَة كي يستحقوا كل هذا الوبال

قال أمجد: شيخ عدنان هل تسمح لي ان أحاول أن أعرف ماهي جريمتهم؟

- تفضل

- حسب سياق النص القرآني فإن ما حصل لهم هو بسبب أنهم لم يؤمنوا بالحق من أول مرة هل أنا على حق ؟

- نعم نفهم من النص أنهم خذلوا أهل الحق حينما رفضوا اتباعه ونصرة أصحابه فكانت عقوبتهم أن خذلهم الله فحرمهم من اليقين وكما قال في ختام الآية عنهم أنه سيتركهم في طغيانهم ضائعين .

أيها الشباب لنفسي قلتها وأقولها لكم الآن هذه الآية مرعبة لكل من يدعي أنه سينصر الحق حينما يجده لأنه قد يكون أول من يعاديه ويسخر منه ، لنحذر أن لا نؤمن بالحق من أول مرة يلامسُ فيها أرواحنا ويطرق عندها عقولنا لئلا يصيبنا ما أصاب أولئك القوم .

إن سمحت لي يا شيخ فعندي إضافة لكلامكم، هكذا قال علي

أحياناً نبغض البعض لأنهم يخالفوننا في العديد من المسائل التي نرى أنفسنا فيها على حق وهم على باطل ولكن نادراً ما يكون العكس فيقولون كلمة حق لا تعجبنا فقط لأنهم هم من قالوها لا من نحبهم فعناداً ومكابرةً نحاول البحث عن حجج تبرر لنا عدم اعترافنا بأن كلامهم

حق وتبرر لنا وقوفنا ضده بل ربما وسخريتنا منه ، هذا الرأي قد يكون في المجال الديني أو السياسي أو غيره .

رأى الطلاب علي بنظرات إعجاب كالعادة فليست المرة الأولى التي يفاجئهم بدرر كلامه

قال الشيخ عدنان : لله دُرُك يا علي .

واستمروا في مدارسة السياق القرآني حتى انتهوا وقاموا مغادرين بأرواحٍ تفيضُ نور.

دين اللا رحمة

أسماني والديّ إياد لي من العمر 27 عام.

لا يطاوعني قلبي أن أدهس نملة متعمداً.

رؤية الدم تفقدني وعيي لا أستطيع تحمُل منظره هذا شيء بداخلي ليس لي سيطرة عليه.

مواء القطط يوجعُ قلبي شفقةً بهن وكأني أشعر أنها تستغيث بنا وتطلبُ منا المساعدة.

رؤية من يؤذي كلباً أو قطة في الشارع تجعل الدم يفور حتى دماغي

مروري بجانب شخص نائم في الشارع خصوصاً في برد الشتاء أو مطر الصيف يُشعِرُني بغصة في حلقي قبل قلبي

في طفولتي كنت لو وجدت صغار قطط دون أم أقوم بأخذهن لأرعاهن في المنزل، أنحرم من مصروفي كي اشتري الحليب لهن ، المشاكل تتساقط علي من الأهل بسببهن ومع هذا أدافع عنهن حتى النخاع .

لا أتكلفُ هذا بل هو نابِعٌ من عمق روحي

أنا أحد اصدقاء فارس الذين اختاروا درب اللادين ولكن قبل أن تلوموني اسألوني لماذا اخترتُ هذا النهج

ربما لأني علمت عن حقيقة دينكم أكثر مما تعلمون

ربما لأن الشيء الغير طبيعي والشاذ الذي تمت إعادته على مسامعكم عشرات المرات حتى صرتم تتعاملون معه على أنه طبيعي لم استطع التعود عليه مثلكم

بدأت قصتي عندما كنت أتصفح اليوتيوب كعادتي وبينما أنا أتنقل بين الفيديوهات ظهر أمامي مقطع فيديو بعنوان

" تنفيذ حد الرجم في زاني و زانية متزوجان "

أو كان العنوان قريباً من هذا ، المهم أنه يدور حول هذا المعنى .

أدخلني فضولي للمقطع الذي سيكون له الدور الأكبر في تغيير حياتي

لقد رأيت وحشية ما كان لها تصور

إني أصاب بقشعريرة الآن وأنا أتذكر ذاك المقطع

خرجت من ذاك المقطع بكومة من الأسئلة مثل

كيف لدين الرحمة أن يعاقب رجل وامرأة انزلقوا لنزوة تحت ضغط من شهوة بعقوبة أكبر من عقوبة القاتل نفسه

القاتل وإن كان سفاح فإنه يتم قتله اليوم في ثواني برصاص

قديماً كانت ضربت سيف واحدة كفيلة به

فكيف بجماعة تضع رجل وامرأة في حفرة ثم يرمونهم بحجار حتى يغرقا في دمهما .

لازالت صرخاتهما في أذني، تلك الصرخات التي لم أستطع نسيانها حتى الآن .

لا أستطيع حتى نسيان ملامح وجهيهما وهما يرون الوحوش البشرية حولهم لا تطالهم رحمة ولا شفقة، بل كان هناك من، إحدى تلك الرميات أصابت عين الفتاة فصارت شلال دم.

أيها الناس حتى ولو كانا متزوجين ألا يمكن للمتزوجين أن يُخطئوا ؟ ثم من قال بأن الزواج يقتل شهوة المرء ؟

انتبه ان تقول لي إذاً كان عليه أن يتزوج بالثانية

لأني سأقول لك : عزيزي ليس الجميع يمتلك مصاريف الزواج والقدرة على النفقة على الزوجة الثانية هذا بجانب مسؤوليته نحو أبناءه منها إن أنجب من المرأة الثانية وهو ما يحصل غالباً .

لا أستطيع أن اتخيل وجود رباً رحيماً يأمر بأن يعاقب بهذه العقوبة المرعبة أناس ارتكبوا هذا الخطأ

أين العدل ؟ ما حجم عقوبتهم بالنسبة لجريمتهم ؟

عرفتُ حينها أن دين الإسلام ليس الدين الحق، بحثت في الأديان الأخرى فوجدت فيها كوارث أخرى

وقفتُ حينها مع نفسي وصارحتها بعدم وجود رب فاخترتُ إلحادي من ذاك اليوم وحتى الساعة ، هذا هو السبب الأكبر يا شيخ عدنان لوقوفي ضد اعتقاد أن هناك إله .

قبل أن يبدأ الشيخ عدنان بطرح ما عنده من تعليقات على إياد وفارس وباقي الجماعة قام بحركة رأس تدل على تفهمه لما عاشهُ إياد.

مع الغناء

يمشي أمجد طالب الشيخ عدنان مع صديق له تعارفا حديثاً من أحد مجموعات الواتس اب حيث دخلا فيها في نقاش عن مسألة الغناء وهل هو حرام أم حلال ؟ وعندها اقترح أمجد عليه النقاش على أرض الواقع لا في الواقع الافتراضي فلبّى الدعوةَ صديقُهُ علاء وكان الميعاد هو اليوم عصراً.

يرتدي علاء ثوباً أبيضاً عليه جاكت خفيف لا نعلم هل يلبس هكذا كل يوم أم فقط اليوم بمناسبة أنهُ جمعة .

بينما أمجد يرتدي بنطال جينز لونه أسود و تيشرت أسود يغطيه جاكت أصفر فاقِعٌ لونُهُ يسُرُ الناظرين، يبدو أن أمجد يهتم بتنسيق ألوان ثيابه كون لون الكوتش الخاص به اصفر أيضاً مما أعطى تناسقاً جميلاً بينه وبين لون الجاكت مع حِلكَة سواد ما بينهما .

بدءا بالكلام الرسمي الذي يدور في أي تعارف جديد

ثم تكلما عن شخصيات شهيرة على مواقع التواصل الاجتماعي كالشيخ سلمان العودة وأسباب سجنه ثم تناولا أفكار الدكتور عدنان إبراهيم وختما بالدكتور طارق السويدان.

اتفقا على الأول والثالث واختلفا في الدكتور عدنان إبراهيم ما بين مؤيد ومخالف.

حتى أتيا على سبب اللقاء وهو مسألة الغناء

بدأ أمجد قائلاً : الأصل في الأشياء الإباحة متفقين على هذا أليس كذلك ؟

متعجباً قال علاء : لم أفهم

- الأصل في الأشياء الإباحة هي قاعدة فقهية مُتَّفَق عليها، تعني أن كل شيء حلال حتى يأتي الدليل بتحريمه وليس العكس، بأن كل شيء حرام حتى يأتي الدليل على حِلّه.

- نعم تستطيع أن تعتبرنا متفقين على هذا.

- وبما أنك الآن يا علاء تقف في صف حرمة الغناء فإحضار دليل تحريم الغناء يقع على عاتقك ودعنا نمشي بالتدرُج بدءاً من مصدر التشريع الأول وهو القرآن ولا تقلق سنتناول جميع المصادر الباقية بإذن الله ولكن لنبدأ من الأهم، فهل يوجد دليل في القرآن على حرمة الغناء ؟

- نعم هناك دليلين على حرمة الغناء

- إذاً أسمعنيهما

- هاك الأول يقول الله في سورة الإسراء لإبليس

{ وَاستَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ }

وصوت إبليس هو الغناء كما قال العديد من المفسرين

- هيه ومن قال أن صوت إبليس هو الغناء ؟

جماعة قالوا هذا الكلام وصدقتموهم ما دليلهم ؟

لا دليل

- هم أدرى مني ومنك بتفسير الآيات.

- مهلاً علاء تكلم عن نفسك فأنا لدي لسان أتكلم به عن نفسي هل هم أفهم مني أو لا وهل لو هم أفهم مني فهل سأتفق معهم في كل شيء وأُسلِّم لهم بكل مسألة وكأنهم معصومون عن الخطأ أم أني سأتفق معهم في بعض المسائل وأختلِف معهم فيما لا أقتنع به، والآن أعطني دليلك الثاني.

- الدليل الثاني وهو الأقوى هو قوله تعالى في سورة لقمان

﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشتَري لَهوَ الحَديثِ لِيُضِلَّ عَن سَبيلِ اللَّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُوًا أولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهينٌ﴾

ولهو الحديث هو الغناء بل كان يحلف ابن مسعود وابن عباس أن لهو الحديث المقصود هنا في هذه الآية هو الغناء.

- رد أمجد قائلاً : لنأتِ أولاً لتفسير النص بعيداً عن قول الصحابيين الجليلين لأن قول الصحابة ليس بكافي لتشريع ديني وليس قول الصحابي قول مُلزِم لا يمكن عدم اتباعه فكلامه ليس قرآن حتى لو كانت نسبة فهمه للنصوص القرآنية هي أكبر من نسبة فهمنا لها كونهُ عاصر نزولها ولكن تظل لديه احتمالية خطأ، ألم ترَ الصحابة الذي أخطأوا في فهم تفسير قوله تعالى

{ وكلوا واشربوا حتى يتبينَ لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ منَ الفجر }

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ [البقرة:187]

قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ الصَّوْمَ، رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلَيْهِ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ وَالْخَيْطَ الْأَبْيَضَ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رِئْيُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ: (مِنَ الْفَجْرِ) [البقرة:187]

فَعَلِمُوا أَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

انتهى الحديث

و صار نص الآية

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ من الفجر)

وكما هو واضح من الحديث فإنهم في البداية لم يفهموا المعنى المجازي للآية وظنوا أن الله يعني حقاً خيط أبيض وخيط أسود من قماش، بينما الآية كانت تقصد بالخيط الأسود الليل وبالخيط الأبيض الصُبح، وغايتنا ليست التفصيل في هذه المسألة إنما ذكرها كمثال على إمكانية عدم فهم العديد من الصحابة لبعض النصوص القرآنية كما أرادَ اللهُ لهم فهمها.

ثانياً لنأتِ لما يسمى بسبب نزول هذه الآية وهي أن رجلاً كان يستورد آلات موسيقية جديدة لا يعرفها العرب وكان يستوردها كي يُغري المؤمنين بالاستماع لهذه المعازف الجديدة لترك مجالس النبي محمد، الآن يظهر انسجام قول الصحابيان الجليلان بأن لهو الحديث في تلك الحادثة كانت هي معازف الغناء تلك، ولكَ أن تتخيل لو أن ذلك الرجل فكر في خطة بديلة واستورد حيوانات غريبة عن مجتمع شبه الجزيرة العربية لا آلات موسيقية غريبة لكي يجذب انتباه الناس عنِ النبي محمد، حينها سيكون لهو الحديث هو الذهاب لمشاهدة هذه الحيوانات.

إذاً كل ما كان الغرض منه تضليل أتباع الحق وإشغالهم عنه هو لهو الحديث الذي يُقصد به الإضلال عن سبيل الله.

ويقول أحد المفكرين في هذه المسألة وهو من الذين أحب السماع لهم : لو أن هناك نبي يبلغ الناس برسالة الله وكان هناك رجل كافر يصرخ بكلمة "الله الله" كي لا يسمع الناس دعوة النبي هنا تكون كلمة " الله " هي لهو حديث التي الغاية منها التضليل عن سبيل الله.

كان واضح أن علاء مدهوش من كمية الوعي الذي استمع لهُ الآن كان يريد أن يتكلم متمسكاً بقناعته الأولى ولكنهُ علِمَ أن كلامه سيكون عبارة عن عناد وأن أمجد سيهزمه بالحُجج لذلك فضّل مواصلة الإنصات، وصلا للمقهى، طلبا اثنين من البُن المُثَقّل ثم أكمل أمجد حديثه قائلاً : هذا بخصوص الآيات أما بخصوص الأحاديث فجميع الأحاديث المروية في الغناء كلها ضعيفة حتى حديث

(من استمع إلى قينة صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة)

والآنك هو الحديد المصهور وهذا الحديث هو حديث غير صحيح، رغم أنك قد تسمع العديد من المشائخ يقدمون أحاديث أخرى قال بعض المحدثين عنها أن رجالها ثقات و يُستَدلُ بها على حرمة الغناء ولكني سأعطيهم حينها أقوال محدثين آخرين بنفس قوة المحدثين الذين استدل برأيهم وبعضهم أقوى علماً منهم يقولون بضعف هذهِ الأحاديث.

لدينا فقط حديث واحد ثار الخلاف فيه كونهُ أقوى من غيره

وهو حديث رواه الإمام البخاري مُعلَقاً نصهُ

(ليأتيَن أقوام من أُمتي يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف)

وهذا الحديث سنتناوله من ناحيتين

الناحية الأولى من حيث السند

والثانية من حيث المعنى

أما من حيث السند فقد رواه البخاري معلقاً

سأل علاء : ماذا يعني معلق ؟

المعلق هو الحديث الذي يرويه الراوي وهو غير متأكد من صحته ولكنك ستسمع آراء كثيرة تقول ان معلقات البخاري مختلفة عن معلقات الباقين فمنها ما رواه بصيغة التمريض ومنها ما رواه بصيغة الجزم وهذه مثلها مثل الصحيح مما رواه.

عموماً فإن الإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي صاحب أشهر مذهب فقهي بعد المذاهب الأربعة قال أن في الحديث انقطاع وجزم بهذا والانقطاع يُبطل صحة الحديث وعارضه بعض العلماء من بعده في رأيه حيث قالوا انهُ لا يوجد انقطاع في الحديث .

والناحية الثانية هي من حيث المعنى حيث قد فسر العلماء هذا الحديث بما يسموه بالأدلة الإقترانية أو أدلة القرينة ومعناها باختصار هو أن تتحول بعض الأشياء الحلال إلى حرام إن صاحبت أفعال محرمة وسأوضح الآن كل شيء بإذن الله

الحِر هو الزنا ومعروفٌ أنهُ حرام

والحرير محرمٌ على الذكور لا على الجنسين وقد أجازه الرسول في حالات اضطراريه لأناس من أصحابه أصابتهم حساسية من باقي أنواع الأقمشة وكان الحرير أقل شدة على جلودهم فرخّص لهم الرسول فيه .

والخمور محرمة على الجميع إلا في الضرورات كما كانوا قديماً يقدمونهُ لمن سيقطعون أحد أعضاءه كيده أو قدمه بسببِ مرض.

وأما المعازف فهنا قالوا أن أصلها حلال ولكن عندما اجتمعت بأحد المحرمات المذكورة في الحديث كالزنا أو الخمور أصبحت حرام لأنها تُمتِع المذنب أكثر وتزين لهُ جريمته وذنبه وتهيء له الوسط وتسهل له الوقوع في الذنب

تكلم علاء وقال : عندي سؤال

- ما هو ؟

- ماذا تقول في قول ابن القيم

" لو اجتمع يوم القيامة الحق في جهة والباطل في جهة ففي أي جهة سيكون الغناء ؟ "

- قولي هو أنه لن يكون في أي جهة دائمة

- كيف ؟ هل يمكنك التوضيح أكثر فأنا لم أفهم

- لو سألتك الآن لو اجتمع يوم القيامة الحق في جهة والباطل في جهة ففي أي جهة سيكون أكل التفاح ؟!

ظهرت ملامح تعجب على وجه علاء ثم أكمل أمجد:

التفاح فيه نسبة كافيين كبيرة مما يؤدي الى السهر لنفرض لو أن شخصاً أكل تفاح ليلاً بنية أن يقيم ليلته في مشاهدة أفلام إباحية ففي أي جانب حينها يكون أكل التفاح؟

أجاب علاء : طبعاً في صف الباطل

فأكمل أمجد ولنفترض أن شخص آخر أكل تفاح ليلاً بنية أن يسهر للقراءة فيما لهُ منفعة فيه سواءً في دينه أو دنياه مما هو من المستحبات ففي أي جانب سيكون أكله للتفاح ؟

بتردد قال علاء : يبدو أنهُ في صف الحق

فاستمر أمجد وهكذا بالضبط الأمر نفسهُ ينطبق على استماع الغناء من أدى به الغناء الى حرام فحينها سيكون استماعه في جهة الباطل ومن أدى به إلى أن يتقرب به من شيء جيد ولنفترض مثلا أن لدينا امرأة قررت أن تقوم بترتيب جميع ثياب أبناءها وترتيب غرفهم وهي تعلم أن استماعها للموسيقى أو الأغاني سيمدها بالمزيد من الحيوية والطاقة ألا يكونُ استماعها في ذلكَ الوقت شيئاً جيداً ؟

ضحك علاء وقال فعلاً هذا واقِع مُشاهَد خصوصاً مع النساء .

ضحك أمجد أيضاً ثم ختم جوابه : وما بين هذا وهذا أحياناً لا يدفع استماع الغناء المرء لشيءٍ سيء ولا لشيءٍ جيد في هذه الحالة يُكونُ مباح

هذا أهم ما عندي إلا أنهُ بقي شيء واحد وهو مهم جداً بإذن الله عندما أعود للبيت سأرسل لك للواتس رسالة فيها أسماء أئمة وعلماء وفقهاء مشاهير كانوا يستمعون للأغاني بل وبعضهم يلحنون الأغاني بل وبعضهم يغنون بأنفسهم شخصياً وبآلة موسيقية فقط كي تعلم بأن المسألة عليها اختلاف كبير جداً حتى بين العلماء أنفسهم.

أعلمُ أنك الآن مصدوم ولا تظن بأني لم ألحظ بسمة الدهشة عليك.

_ لأني بصراحة غير مستوعب كيف ستأتيني بهذا !

لكَ الحق في أن تنصدم واسمح لي الآن بأن أختم بتفصيل أخير أودُ قولهُ لك.

الغناء هو عبارة عن ثلاثة أشياء : كلمات وألحان و موسيقى

والكلام بشكل عام قد يكون واجباً أو محرماً أو حلالاً أو حتى مندوباً تؤجر عليه ونفس المقياس ينطبق على الغناء بحيث يتوقف على نوع الكلام فمثلا أغنية تتكلم عن أن الشخص وجد شريك حياته الذي سيحيى عمره معه ويصف فرحته وطول انتظاره لهذا الشخص فما البأس والمشكلة في هذا ؟!

أو شخص آخر يصف أيام حزينة عاشها بألم

ولنأتي الآن للألحان الألحان لاشك أنها حلال بدليل أننا نلحن القرآن (نتغنى به) كما وصف النبي في الحديث بل أنهُ حث على التغني بالقرآن

بقي لدينا الآلات الموسيقية وهو ما ثار فيه أكبر الاختلاف ما بين مجيز و محرم .

هنا يا علاء أنا أتكلم عن الاغاني المسموعة لا عن الفيديوهات المرئية المليئة بالعُري والمجون والرقص فهذا واضح أنه حرام وغير مُباح كونهُ شيء يبعث على المفسدة .

ولا أتكلم عن صوت بعض المغنيات اللواتي يتغنجن بصوتهن في الأغاني بشكل مائع مثير للشهوة فهذا أيضاً واضح أن فيه مفسدة .

وليكُن كل شخص صريح مع نفسه حيث كل شيء يُفسده هو شيء مُحرّم عليه .

وهذا التفصيل الأخير لم أكن اعرف هل كان من المناسب أن أُدلي به في البداية أم في الختام ولكن المهم أننا تناولنا المسألة من أغلب جوانبها ولم يبقَ سوى ما وعدتك بإرسالهِ لك.

أكملا حينها شُرب كوبيهما وغادرا المقهى.

حد الرجم

- لي طلب منكم قبل أن أبدأ

- وما هو ؟

- أن تُنصِتوا لي حتى أُكمِل كلامي وإن طال وإن كان لديكم سؤال فلتؤشروا بأيديكم قبل ان تسألوا كي لا نخرج من عُمق السرد وتتبعثر الأفكار.

أجاب إياد الشيخ عدنان : لك ما طلبت

واكتفى البقية بهز رؤوسهم

- شكراً

بِدءاً أريد أن أفاجئكم بأن هناك طائفة من العلماء تبنوا قول أنه لا يوجد حد رجم في الإسلام .

بدت الدهشة فعلاً على وجوه الجماعة أشار إياد بيده كعلامه الى أنهُ لديهِ ما يقولهُ فسمح له الشيخ بالكلام

- ولكن جميع الشيوخ اليوم يقولون أنهُ يوجد

- ليس جميعهم ولكن يبدو أنهم الأكثرية، ولكننا الآن سنستعرض الأدلة التي دفعتهم لتبني رأي أنه يوجد حد رجم في الإسلام.

و كعادتي التي علمتها لطلابي سنبدأ أولاً بالبحث عن الأدلة في كتاب الله فهل توجد آية في القرآن تتكلم عن أن عقوبة زنا المتزوجين هي الرجم حتى الموت ؟

يقول البعض أنهُ توجد آية نصها

(الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة نكالاً من اللهِ والله عزيز حكيم)

هذه الآية التي سمعتها آنفاً والتي بعضهم يضيف في بدايتها واو عطف فتكون

(والشيخُ والشيخة ....الخ)

- عذراً ما معنى آنفاً (قاطَع فارس)

- تعني حالاً يا فارس ، أعانني الله إذ أن الأسئلة بدأت تنهالُ علي منذُ البداية يبدو أن مستقبل طلبي مُشرق.

تبسم الشيخ ضاحكاً وضحك الجميع .

ثم قال فارس : حسناً نعتذر منك يا شيخ لن نقاطعك بعد الآن إلا لضرورةٍ قصوى وتمنى لنا الثبات.

وضحك الجميع ثم واصل الشيخ تعليقه عن آية الشيخ والشيخة :

هذه الآية لو بحثتم عنها في كل مصاحف العالم فلن تجدوها في أي مصحف ولن تجدوها في أي سورة

كان التعجُب حينها هو المسيطر على الوضع

- أعلم أنكم تتساءلون الآن إذاً ما القصة ما قصة هذه الآية ؟ من أين جاءت وكيف اعتمدوها ؟

تعود القضية لقصة قيل فيها أن عمر بن الخطاب وبينما هم يكتبون آيات القرآن إذ كتبوا هذه الآية ثم فيما بعد على حينِ غفلةٍ أتت نعجة وأكلت الورقة التي مكتوبة فيها هذه الآية ثم قال : والله لولا ان يقول الناس أن عمر زاد في القرآن من عنده لكتبتها

هنا لم يتمالك الشباب أنفسهم وضحكوا من القصة وابتسم الشيخ وقال:

- أكلمكم أن هذا هو الدليل الرئيس فعلاً، صدقوني أنا الآن لا أمزح ولا أحكي نكتة.

والآن دعوني أبدأ بالنقد والتفنيد لهذه القصة :

ابتسم الشباب ويبدو أنهم فهموا من قصد الشيخ بتعليقهِ الأخير ثم استمر الشيخ بسرد نقاط النقد :

أولاً : لنفترض أنه صار خطأ و انحرقت، تمزقت، ضاعت أحد الأوراق التي فيها آية من آيات القرآن ألن يستطيع من كتبها أول مرة أن يكتبها ثاني مرة ؟ ما المشكلة ؟!

ثانياً : هل يُعقل أن عمر بن الخطاب الشجاع جبار الجاهلية وعملاق الإسلام لن يعيد آية لمكانها الصحيح في كتاب الله خوفاً من كلام الناس !

أكلامُ الناس عنده أخوف من موقفه أمام الله حين يسأله عن تلك الآية التي لم يكتبها تحاشياً لكلام الناس !!؟

ثالثاً : القرآن العظيم نُقِل إلينا بالتواتر أي كان يحفظ آياته المئات من الصحابة وحدهم أما من بعدهم ف ألوف ثم عشرات ألوف فمئاتها فملايين كما هو اليوم.

وأي آية لم يكن يعرفها سوى قِلة لم تكن تُكتَب. أفيُعقل أن هذه الآية لم يكن يعلمها سوى عمر و نفرٌ قليل معه؟ ثم ألم يكن يستطع أن يطالب من كتبها من الحفاظ أول مرة بأن يعيدوا كتابتها مرة أخرى ؟!

رابعاً : ألا يقول الحفيظ في سورة الحجر

﴿إِنّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ﴾

فكيف تضيع آية من آيات الله ؟ وانتبهوا أن يأتيكم فيما بعد شخص ويقول لكم هذا نسخ وليس ضياع

بل هو ضياع فالنسخ إن سلمنا به يكون سبب ارتفاع الآية هو الله وليس حدثاً قدرياً طارئاً كما هو وارد في القصة أم أن الله نسخها عن طريق الماعز؟!

كما أنهُ لا يوجد أي نسخ بعد موت النبي.

خامساً : في سبيل إثبات صحة هذه القصة غامروا بتشكيك المجتمع المسلم في مسألة حفظ الله لآخر كتاب للبشرية من ضياع بعض آياته .

سادساً وأخيراً : هذه الجملة التي زعموا أنها آية تتعرض لعدة أنواع من النقد اللغوي أهمها أن ألفاظها ليست دقيقة .

الآية تقول الشيخ و الشيخة هل تقصد شيخ الدين ؟ طبعاً لا.

لأن وقتها لم يكن هناك ما يسمى بشيخ دين فهل يقصد شيخ القبيلة ؟

لا، لأنه قال والشيخة ولا توجد شيخات قبيلة.

هز فارس رأسه مُنذهلاً من طريقة تفنيد الشيخ للمسألة ولنعد للشيخ ...

- إذاً فالمقصود هو شيخ السن أي الكهل من الرجال والعجوز من النساء ولكن ماذا نفعل إن كنا وجدنا شيخ سن زنا وهو غير متزوج أساساً ؟ فهل ننفذ فيه حد الرجم كونه شيخ سن أم حد الجلد كونه غير متزوج؟! هذا إلى جانب جملة (بما قضيا من اللذة) وكأن العقوبة أتت بسبب أنهم استمتعوا فلنفترض جدلاً بأنهم لم يستمتعوا وكانت تجربة سيئة خصوصاً وأن أحد الطرفين هو حتماً شيخ كبير في السن أو عجوزة مما يزيد من نسبة كونها ستكون تجربة غير ممتعة فهل حينها ستُلغى العقوبة؟!

هنا يظهر تهافُت القوة البلاغية بل ووجود الأخطاء اللغوية في هذهِ الآية المزعومة.

يتضح الآن بعد هذه المناقشة لهذه القصة أن هذهِ القصة غير صحيحة وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مُنزّه عن كل هذا ولعله إن بُعِثَ اليوم لتعجب وقال : متى قلتُ هذا الكلام بل وأين ومع من صار كل هذا ؟!

ضحك إياد ويبدو أنهُ تخيل عمر وهو يقول كل هذا، ثم اعتذر من الشيخ قائلاً : المعذرة استمر يا شيخ.

وأقفل الشيخ هذه المسألة من جهة باب القرآن وفتحها من جهة باب الأحاديث بهذه الجملة :

هذه هي الآية الوحيدة الذي يرددها بعضهم في أنه توجد آية تُقِرُ حد الرجم.

ولنأتي الآن لمسألة الأحاديث.

توجد لدينا أحاديث تسرد لنا قصص أن النبي رجم زناة متزوجين جاءوا واعترفوا بأنفسهم كماعز و المرأة المخزومية ولدينا تعليق بسيط على القصتين

وهو أن كليهما عندما كان يأتي النبي ليعترف له بفعلته كان النبي يتجاهله وكأنه لم يسمعه ثم يقول لماعز لعله سكران ثم يقول لعل في عقله شيء من جنون يحاول أن يعذره ليرحل دون ان يُنَفَّذ فيه الحد ! وهل نستطيع تصور فعلاً ان يقوم النبي محمد بالتساهل في حد يُفتَرض أنه من حدود الله ؟!

ألم تروا ماذا قال النبي عندما أرسلوا حِبه أسامة بن زيد ليتوسط للمرأة التي سرقت بألا يقطعوا يدها حيث استصعبوا أن يُنفَّذ حد القطع على امرأة تنتسب لأحد البيوت ذات الوجاهة في مجتمعهم فغضب النبي حتى احمرّ وجهه كما وصفَ من روى الحديث وقال: "أتشفعُ في حدٍ من حدود الله ؟! إنما أهلك من كان قبلكم أنه كان إذا سرق الشريف تركوه وإذا

سرق الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أن فاطمة بنتُ محمدٍ سرقت لقطع محمدٌ يدها"

فكيف يتساهل في حد الرجم ويحاول أن يسهل لمتجاوز الحد الفرار دون أن يُنَفَذَ عليهِ الرجم ويوجد لبعض العلماء من الذين يؤمنون بوجود نسخ في القرآن نقد آخر لهذه القصص حيث يقولون نعم إن الرسول قد رجم ولكن قبل نزول آية الجلد في سورة النور حيث جاءت فيما بعد آية الجلد ونسخت حد الرجم.

{ الزّانِيَةُ وَالزّاني فَاجلِدوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِائَةَ جَلدَةٍ }

وتستطيعون إن أحببتم التوسع أكثر في موضوع النسخ بأنفسكم بعد هذا اللقاء، أو إن كنتم فعلاً مهتمينَ به فيمكننا تخصيص جلسة كاملة لأجله.

قال فارس ضاحكاً مبهوراً من ذكاء الشيخ : قسماً أنك أبو المفاجئات يا شيخ تحمستُ أكثر لدوري، أكمل واعذرني على مقاطعتي

قال عمار : شيخ عدنان سأستغل هذه الفرصة بما أن فارس هو من قاطعك وليس أنا وأطلب منك أن تشرح لنا أكثر عن هذا الذي تسميه

(النسخ في القرآن)

- حسناً ولكن سأعطيكم فقط لمحة بسيطة عنه تُعطيكم انطباعاً عامّا عنه لأنهُ ليس أحد موضوعاتنا التي جئنا للحديث عنها اعلموا أن النسخ بشكل عام يعني من حيث معناه الاصطلاحي :

"رفع حُكم شرعي سابق بدليل شرعي متأخر عنه في زمن نزول الوحي"

لو لاحظنا ففي التعريف عدد من القيود منها :

أولها رفع حكم شرعي فيخرج بهذا القيد أي حكم غير شرعي (أي كل مسألة لم يتناولها الشرع بشكل صريح أو ضمني، مباشر أم غير مباشر)

ثانيها : سابق (أي أن النسخ يأتي بعد صدور حكم شرعي في المسألة مُسبقاً)

ثالثها : بدليلٍ شرعي (أي أن أي شخص يدّعي وجود نسخ في مسألة معينة فإن عليه أن يأتي بالدليل الشرعي الصحيح الذي يُثبت كلامه)

رابعها : في زمن نزولِ الوحي (أي أن فترة النسخ تكون من بداية نزول الوحي على النبي لا منذ ولادته وتنتهي بموت النبي وبالتالي فلا يُقبل أي نسخ يُدّعى أنهُ حدث بعد موت النبي)

و النسخ بكل بساطة هو أن يكون الشيء حلال لفترة مثلاً ثم فيما بعد يأتي تحريمه فيتحول من حلال إلى حرام والعكس يصح أيضاً فيكون هذا الشيء في فترةٍ حرام ثم يصبح حلال والمسألة لا تقتصر على الحلال والحرام بل تشمل الحدود أيضاً فتكون عقوبة جريمة معينة هي خمسين جلدة ثم بعد فترة تصبح سجن سنتين بدل الجلد

ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فيستطيع قراءة كتب أو مقالات حول النسخ أو أن يستمع دروس على اليوتيوب حول هذا الموضوع.

والآن دعونا نستمر في مناقشة موضوع وجود أو عدم وجود حد رجم في الإسلام.

سنتناول الآن آيات تنفي وجود حد رجم وتخبرنا بعقوبة الزناة المتزوجين وغير المتزوجين بل وأن عقوبتهم واحدة ومتساوية.

فلنبدأ بالآية رقم 25 من سورة النساء فلتسمعوا الآية كاملة ثم سنتناولها بالتفصيل

﴿وَمَن لَم يَستَطِع مِنكُم طَولًا أَن يَنكِحَ المُحصَناتِ المُؤمِناتِ فَمِن ما مَلَكَت أَيمانُكُم مِن فَتَياتِكُمُ المُؤمِناتِ وَاللَّهُ أَعلَمُ بِإيمانِكُم بَعضُكُم مِن بَعضٍ فَانكِحوهُنَّ بِإِذنِ أَهلِهِنَّ وَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ بِالمَعروفِ مُحصَناتٍ غَيرَ مُسافِحاتٍ وَلا مُتَّخِذاتِ أَخدانٍ فَإِذا أُحصِنَّ فَإِن أَتَينَ بِفاحِشَةٍ فَعَلَيهِنَّ نِصفُ ما عَلَى المُحصَناتِ مِنَ العَذابِ ذلِكَ لِمَن خَشِيَ العَنَتَ مِنكُم وَأَن تَصبِروا خَيرٌ لَكُم وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ﴾

يقول الله

{ وَمَن لَم يَستَطِع مِنكُم طَولًا أَن يَنكِحَ المُحصَناتِ المُؤمِناتِ فَمِن ما مَلَكَت أَيمانُكُم مِن فَتَياتِكُمُ المُؤمِناتِ }

أي من لم يستطع منكم أن يتزوج مؤمنة حرة ليست عبدة فلهُ أن يتزوج جارية مؤمنة كون مصاريف زواجها أقل من مصاريف زواج المرأة الحرة.

{ وَاللَّهُ أَعلَمُ بِإيمانِكُم بَعضُكُم مِن بَعضٍ }

ينبه الله هنا للزوج ألا يستنقص من قدر زوجته لأنها كانت جارية ففي الأخير هي تبقى إنسانة عاشت ظروف سيئة أوصلتها لوضع العبودية وخاطبنا أن أصلكم واحد حيث ترجعون لأبي البشر آدم.

{ فَانكِحوهُنَّ بِإِذنِ أَهلِهِنَّ }

واضحة

{ وَآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ بِالمَعروفِ }

أعطوهن مهرهن لا يجوز أن تتزوجوهن دون مهر بحجة أنهن جواري.

{ مُحصَناتٍ غَيرَ مُسافِحاتٍ }

أي يجب أن تكون هذه الجارية التي ستتزوجونها عفيفة غير مشهورة بالزنا.

{ وَلا مُتَّخِذاتِ أَخدانٍ }

أي ولا متخذات عشيق.

الآن بيت القصيد الذي نبحث عنه هو هنا

(فَإِذا أُحصِنَّ)

أي فإذا تزوجن

وانتبه (إذا) تأتي للشيء الواقع لا محالة بعكس (إن) تأتي للاحتمالية لشيء قد يكون وقد لا يكون لا يصح مثلاً أن أقول(إن طلعت الشمس

سآتيك) لأن الشمس حتماً ستُشرق لذلك يلزم قول إذا بدلاً عن إن فتكون (إذا طلعت الشمس سآتيك) والله في الآية استخدم إذا وبالتالي فالمعنى يكون إذا تزوجتم بهن فقد أُحصِنَّ ولا أريد الآن تناول بعض الآراء التي قال اصحابها أن الإحصان هنا هو العفة وليس الزواج بل هو الزواج لأن مسألة العفة تم تناولها عندما قال

{ غَيرَ مُسافِحاتٍ وَلا مُتَّخِذاتِ أَخدانٍ }

ولنكمل الآن عملية تحليل وتفسير الآية

{ فَإِن أَتَينَ بِفاحِشَةٍ }

أي إن أتين الزنا

{ فَعَلَيهِنَّ نِصفُ ما عَلَى المُحصَناتِ مِنَ العَذابِ }

فعقوبتهن هي نصف عقوبة المرأة الحرة إن زنت.

الآن انتبهوا معي

إن قلنا أن المرأة الحرة عقوبتها هي الموت رجماً بالحجارة فكيف يتم تنصيف الموت ؟!

(أي كيف لنا أن نعاقب أحدهم بنصف عقوبة الموت ؟!)

هل نرجمها حتى تصاب بشلل ؟!

ضحكَ حينها الجميع ثم أكمل الشيخ شرحه :

ثم إن الله قال فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والموت ليس عذاب والعذاب شيء والقتل شيء آخر تماماً، العذاب لا يكون الغاية منه القتل وإلا سُمي قتلاً قال سيدنا الملك سليمان عليه السلام عن الهدهد عندما اختفى

{ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شَديدًا أو لَأَذبَحَنَّهُ }

فرّق بين العذاب الشديد وبين الذبح الذي يؤدي إلى القتل رغم أن فيه ألم لا يستهان به قد يؤدي إلى الموت

لنأتِ الآن لسورة النور التي نزلت بعد سورة النساء بحوالي عشر سور من حيث ترتيب النزول، سورة النور شرعنت حد جديد للزنا حسب رأي من يتبنون وجود نسخ في القرآن وهم الأغلبية كما اطلعت.

وقبل أن أبدأ في سورة النور يجب أن أذكر ما قاله بعض من أرى أن الله فتح عليهم في الأفهام بأن

"سورة النور هي سورة لا تحتاج للتأويل أو الكشف عن بواطن فيها فهي واضحة كالنور لا غموض ولا خفاء فيها ولا تأويل حتى أن الله أول ما بدأها قال

﴿سورَةٌ أَنزَلناها وَفَرَضناها وَأَنزَلنا فيها آياتٍ بَيِّناتٍ لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ﴾"

فيها آياتٌ بيناتٌ لا غامضات أو مُشتَبِهات، والبيان لا يحتاج للتأويل.

يقول الله بعد هذه الآية مباشرةً بعد أن صرح بأن آيات هذه السورة ستكون واضحة لا تحتاج لاستثناءات

﴿الزّانِيَةُ وَالزّاني فَاجلِدوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِائَةَ جَلدَةٍ وَلا تَأخُذكُم بِهِما رَأفَةٌ في دينِ اللَّهِ إِن كُنتُم تُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَليَشهَد عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ المُؤمِنينَ﴾

تكلم عن عقوبة الزناة دون أن يفرز أو يُقَسّم ويفرق بين متزوج وغير متزوج فلماذا نأتي نحن لنُقسّم ونضع استثناءات دون توفر أدلة قطعية تقطع لنا بوجود استثناء ؟

تخيلوا أن العقوبة التي حددها الله هي مائة جلدة مع حضور جماعة من المؤمنين ومع كل هذا يقول الله عز وجل احذروا أن تأخذكم بهما رأفةٌ و رحمة فلا تقيموا عليهما هذا الحد.

الله يحذرنا أن نرحمهما فلا نقيم عليهم حد مكون من مائة جلدة فكيف برجمٍ حتى الموت لم ينبهنا فيه على الشفقة والرأفة الرحيمة بهما بل إن آية الشيخ والشيخة المزعومة تزيد من الوعيد فتقول نكالاً من الله.

صدقوني، إن في هذا الكلام لعبرةٌ لقومٍ يتفكرون.

قاطعه إياد ليقول : قسماً صحيح هذا هو الرب الحقيقي هذا هو الرب الرحيم مائة جلدة ويراها عقوبة قاسية قد تجعل المؤمنين من رأفتهم بالمذنبين أن يعفو عنهما، ولكن اليوم قد ماتت قلوب أكثر الناس حيث يرون عقوبة الرجم عقوبة عادية ويبدو أن رب الإسلام ما أنزل بها من سلطان.

- لأكمل ما بقي عندي يا إياد فقد بقي القليل فقط.

- حسنا والمعذرة على المقاطعة ولكني لم استطع إمساك نفسي.

- لا عليك كلنا يحدث معنا هذا.

والآن انتهى الرب من هذا التشريع في سورة النور ثم دخل لقصة القذف وقال جلّ مِن قائلٍ وعَظُم

﴿وَالَّذينَ يَرمونَ المُحصَناتِ ثُمَّ لَم يَأتوا بِأَربَعَةِ شُهَداءَ فَاجلِدوهُم ثَمانينَ جَلدَةً وَلا تَقبَلوا لَهُم شَهادَةً أَبَدًا وَأولئِكَ هُمُ الفاسِقونَ﴾

قال أن من يتهم شخص بالزنا ثم لم يأتِ بأربعة شهود يشهدون معه أنهم رأوا حادثة الزنا فيتم جلده 80 جلدة هذا بجانب أنهُ لن يتم قبول أي شهادة له إلا إن تاب كما تنص الآية التي بعدها حيث يقول الله

﴿إِلَّا الَّذينَ تابوا مِن بَعدِ ذلِكَ وَأَصلَحوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾

الآن تخيلوا معي لو أن عقوبة الزاني البكر 100 جلدة

وعقوبة الزاني المتزوج الرجم حتى الموت

وكما نعلم فإن عقوبة اتهام البكر بالزنا دون شهود هي 80 جلدة وفي المقابل فإن عقوبة اتهام المُحصن أي المتزوج بالزنا هي أيضاً 80 جلدة أي أنه لا فرق في العقوبة بين الجريمتين والآن ألا يكون هذا ظلماً لعدة أسباب ؟ أهمها أن عقوبة كل فئة منهما مختلفة وبينهما فرق شاسع جداً من حيث حجم العقوبة كون الأولى جلد والثاني موت، ولكن الواضح أنهُ تمت المساواة بين من يقذف البكر دون شهود وبين من يقذف المتزوج

دون شهود لأن عقوبتهما واحدة كما وضحت لكم وهي مائة جلدة كما نصت سورة النور.

لنختم الآن بالآيات التالية للآيات السابقة.

يقول الله أن هناك وسيلة مختلفة في إثبات جريمة الزنا بين الزوجين فمثلاً إن شهد زوج حادثة زنا لزوجته مع أحد الرجال وكان الزوج بمفرده دون جماعة معه فحينها يستطيع اتهامها بالزنا دون أن يقوم بإحضار شهود وإنما بآلية أخرى والدين الإسلامي وفّر هذه الآلية بين الزوجين لعدة أسباب مثلاً منها كون الرجل إن رأى زوجته تزني مع أحد، فحينها لا يسمح له كبرياءه ولا غيرته بأن ينادي رجال آخرين ليروا زوجته بذاك المنظر حتى ولو كان لكي يشهدوا معه، لذلك يكفي أن يُقسِم أربعة أيمان أمام القاضي بأنه من الصادقين في ما رماها به من تهمة الزنا ويمين خامسة بأن عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين في التهمة التي اتهم زوجته بها.

ولتسمعوا هذه الآيات

﴿وَالَّذينَ يَرمونَ أَزواجَهُم وَلَم يَكُن لَهُم شُهَداءُ إِلّا أَنفُسُهُم فَشَهادَةُ أَحَدِهِم أَربَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقينَ (6) وَالخامِسَةُ أَنَّ لَعنَتَ اللَّهِ عَلَيهِ إِن كانَ مِنَ الكاذِبينَ (7) وَيَدرَأُ عَنهَا العَذابَ أَن تَشهَدَ أَربَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الكاذِبينَ (8) وَالخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيها إِن كانَ مِنَ الصّادِقين }

جملة و يدرأ عنها العذاب معناها ويدفع عنها العذاب أي أن الزوجة لديها وسيلة لدفع العذاب عنها وهي بأن تقسم بالله أربع أيمان بأنه كاذب

فيما رماها به من الزنا ويمين خامسة بأن غضب الله عليها إن كان من الصادقين في اتهامه لها.

ركزوا معي الآن ماذا قال الله في هذه الآية

قال ويدرأ عنها العذاب ولم يقل ويدرأ عنها الموت !!

هما متزوجين اي حسب قول متبنيي قول حد الرجم كان يجب أن يُدفَع عنها الرجم أو الموت لا العذاب ويبدو أن الله بهذه الدقة في اختيار الكلمات قد قضى على فِكرة وجود حد رجم في الإسلام سبحانه وكأنه يعلم ما ستؤول إليه الأمور بعد سنين .

أختم بمعلومة لمن لهم خلفية في النسخ في القرآن خصوصاً وللبقية عموماً وهو أن السادة الحنفية لا يقبلون نسخ السنة للقرآن وطبعاً يقبلون نسخ القرآن للقرآن أو نسخ القرآن للسنة أو نسخ السنة للسنة وجماعة آخرين يقولون أنه من الممكن ان تنسخ السنة القرآن ولكن هذا لم يحدث البتة فهل غاب عن كل هؤلاء فكرة وجود حد رجم في الإسلام؟

إلى هنا اكون قد أكملت كلامي في الحديث عن حد الرجم يا شباب.

علق إياد : شيخ عدنان شكراً لك من أعماق الأعماق حقاً لا أستطيع أن أعرف كيف أصف لك كم أنا ممنونٌ لك لأنك أخرجتني من دواماتي التي عصفت بي.

ثم ابتسم إياد وقال : شيخ عدنان من يستطيع عليك من؟

حقاً، كيف وصلت لكل هذا العلم والذكاء المُبهِر الذي أعجز عن وصفه هذا إلى جانب أنه واضح عُمق اطلاعاتك خصوصاً في المواضيع الكُبرى .

رد الشيخ : هذا من فضل اللهِ وكرمه ولُطفِهِ بي

والآن هيا ليبدأ أحدكم مسألته الثانية.

أسئلة الغروب

أنا شخص لم تعرفوه حتى الآن ولن تعرفوه إلا في مرحلة قادمة

في أحد عصرياتِ شتاءٍ ديسمبريّ أو كما يسميه البعض ب تشرين الأول رغم أنهُ آخر شهر في السنة كيف لآخر شهرٍ في السنة أن يوصَف بالأول ؟! لا أدري ولكن دعونا نسميه بالاسم الذي يعرفه الجميع وهو شهر ١٢، لقد كنتُ فيه وحيداً لا أزعمُ السعادة فيه ولا حتمية الكآبة ولكني كنت أكثر ميلاً للضجر وللكثير من السأم، و آهٍ من السأم.

تأملتُ ما حولي فوجدتني في بلدي العربي التعيس ذو الشؤم.

المحلولُ عليهِ لعنة لا نهاية لها، لا داعي لأن أخبركم باسم بلدي فبلدي علامة فارقة لا على مستوى الجغرافيا العربية بل على مستوى العالم، إن بلدي دائماً ما ينال مراتباً هي الأولى على مستوى العالم فهو صاحبُ أكبرِ كارثةٍ إنسانيةٍ على وجه هذهِ الأرض، و محافظته الشهيرة هي المحافظة الأكثر تعاسة على وجهِ هذهِ المعمورة ولقد وصفت محافظته ب الشهيرة كونهُ صار لديه أكثر من عاصمة.

ألم أخبركم أن 70 % من أبناءه تحت خط الفقر و العشرين بالمئة الذين هم فوق السبعين وتحت التسعين بالمئة فقراء ولكن فوق خط الفقر الملعون .

البارحة كنتُ أسمعُ أصدقائي وأنا في غيابَت البؤس يتكلمون عن الوطن ما بين ثلاثةٍ مدافِعَين عنه وباغضٌ له وخامسهم تركهم وقام بتشغيل مسلسل تركي على هاتفه وكأن مشاهدته لهذا المسلسل أسلى على قلبه من الحديث عن ما يسمى " وطني " مع أنهُ أكثر شخص فينا يظل يتكلم عن الوطن ومعنى الوطن وحب الوطن ونصرة الوطن ونظافة الوطن وكل شيء عن هذا الذي يقولون أن اسمهُ وطن، لعلي سأجعلكم تلتقون بصديقي هذا في أحد الأيام.

عموماً كنتُ أسمع حديثهم وإليكم ما سمعت :

-يا من تدافع عن الوطن ما هو الوطن هو مجرد

رصيف(طريق مشاة)

- الوطن هو الأرض والهواء والتراب اللواتي احتضننك

- كتب محمد الماغوط أن أحدهم وهو على منصة الإعدام عندما سأله القاضي هل فعلاً أنت لعنت الوطن في المدارس وفي الحدائق والشوارع وعلى الطرقات جهراً دون خجل ؟ فأجاب بكل ثقة أن نعم

فأكمل القاضي هل فعلاً قلت أن الوطن لا يساوي حذاء؟

فأجاب : لو كان الوطن يساوي حذاءً ما كنتُ الآن حافياً.

ووطننا ك وطن ذاك المُتهم لا يستحق ذرة من الاحترام

- ولكن الوطن احتضنك ورعاك ونشأت في ربوعه

- أوه يا لهذا الوطن الرقيق يبدو أن لديه جفاف عاطفي بالله عليكم دعونا من هذه الترهات الفارغة إلا من المشاعر المزيفة.

- الوطن أسكنك أرضه

- بل اشتريتها بمالي، بمالي سكنتُ على هذا الأرض وليسَ بفضلٍ منه.

- أنتم أفقرتموه وجعلتموه يضطر لبيع نفسه لأجلكم

- هههههه ولكنه في الأخير باع نفسه فلم يعد له حق علينا.

تذكرتُ حينها وأنا اسمعهم أغنية لجارة القمر فيروز اسمها

(ما تزعل مني) التي تخاطب فيها وطنها :

شو كان سهل عليي إني فِل (اغادر)

بس اخترت إني أبقى كرمالك

وقت الي كلُن فلو وتركوك

لأني بحبك ولأني وعدتك

إني بكل الأوقات

بإيامي السوداء وبكل الإيام رح إبقى

حدك ولو مهما كان

ما في شي بيعني لي

غير إني عيش

بوطني الي رسمته ببالي

صورة حلوة حلم كبير اهرب اتخبى فيه

وطني الغِنِيِّة لو تعرف شو صليت وتمنيت انو يصير

ما عاد فيي كفي بحبسي الكبير

اخترت الحرية بدي التغيير

ما تزعل مني يا وطني

انت بتعرف ما مرة تركتك

بأسوأ أيامي بجنون حياتي

بقيت على وعدي لا تبعد عني

- الآن تلامسني فيروز أكثر وأكثر

بزعل ع حالي بزعل عليك

انا فيك وحاسة بالغربة

ما بتستاهل هالبشاعة الي عملتا بإيديك

انتا طفولي والسماء الزرقا بيتي

والخير الي كان إيامي الحلوة واهلي والجيران

والضحكات الي صاروا نسيان

شو بقول لأولادي الي حلموا فيك ؟

كذبت عليي وما كنت وطني الي بيشبههن وبلاقي حالي فيه

بكرا بيكبروا بدورن بيفلوا ع وطن جديد

يغمرهن ويكبر حلمن فيه لو مهما كان هالوطن بعيد

- لكُم خيار سماعها

حينها ذهبت للإستماع لفيروز وتذكرت احدهم حينما قال

" فيروز تُصلِح ما يفسده الآخرون "

ولكن إن كان هذا الذي اسمه الآخرون هذه المرة هو الوطن فهل تكفي له فيروز ؟

دخل مع ذلك الغروب ذكرى مواجهتي لبعضِ الأسئلة اللاهوتية.

لماذا الشر والقتل موجودان في هذا العالم ؟

هل الله كلي المحبة ؟ أي أن كله حب وخير وهو ليس بشرير ؟ نعم.

هل الله كلي القدرة ؟ يستطيع فعل أي شيء يريده ؟ أيضاً نعم.

هل الله كلي المعرفة ؟ لا شيء يخفى عليه ويعلم كل شيء ؟

بالطبع نعم.

إذاً لماذا الشر موجود في العالم ولماذا يتم قتل الأطفال الأبرياء حول العالم أين رحمة الله من كل ما يجري ؟

إما أن الرب ليس كلي المحبة بل شرير ومستمتع بهذا الوضع فهو ساديّ يتلذذ بتعذيب الآخرين.

أو أن الرب ليس كلي القدرة فهو مع الخير ويعرف كل شيء ولكنه لا يستطيع التدخل في هذا الوضع فهو عاجز عن تغيير الوضع.

أو أن الرب ليس كلي المعرفة فهو مع الخير ويستطيع منع الشر ولكنه تركنا فهو لا يعلم عنا شيئاً فحينها يا ويلَ حالنا وبؤس وضعنا.

بعد أشهر اكتشفت أن سبب وجود الشر هو ليس إحدى هذه الثلاث فالله جعل نواميس (قوانين) منها أنهُ لن يتدخل بمعجزة ولا بقدرته في كل مرة لإنقاذ الخير وإيقاف الشر بل سيسمح بأن يقع كل شيء في هذه الدنيا فيأخذ كل شخص كامل حريته في أفعاله خيِّره كانت أم سيئة حتى وقت انقضاء أجله ثم إلى ربهم يُرجعون فيحاسبهم على ما كانوا يعملون هناك مقولة تقول

" لولا حرية ارتكاب المعصية لَما كان للخير والشر أي معنى"

اكتشفت أننا نعيش جزأين ولكننا نغفل عن هذا وننساه

الدنيا هي الجزء الأول والقصير الطويل

طويلة بالنسبة لصبر الإنسان

وقصيرة مقارنة بالجزء الثاني ومقارنة بعمر الكون

ولكننا نريد أن تنتهي كل الأحداث في الجزء الأول أن ينتصر الخير ويُهزَم الشر ويتحقق العدل ونعيش في المدينة الفاضلة ويموت وحش نهاية الحلقة ويعُم الفرح في الحلقة الأخيرة.

هذا كله في سبيستون لا هنا فأدركوا أين نحن.

نعم أدركت حينها أين نحن فتوقفت من يومها أن أقول أين الله مما يحدث في فلسطين وسوريا أين الله مما يحدث في تركستان الشرقية مع الإيغور وأين هو من مسلمي كشمير وما هي ردة فعله إزاء بلدنا الأليم لا السعيد أين وأين وأين ؟

هو هناك يرى كل شيء ويُمهِل الظالمين ليومٍ تشخص فيه الأبصار وتجثو فيه الأجساد وترتعد فيه الأرواح

﴿مُهطِعينَ مُقنِعي رُءوسِهِم لا يَرتَدُّ إِلَيهِم طَرفُهُم وَأَفئِدَتُهُم هَواءٌ﴾

تذكرتُ حينها أيضاً قول الله في سورة الإسراء

(مَن كانَ يُريدُ العاجِلَةَ عَجَّلنا لَهُ فيها ما نَشاءُ لِمَن نُريدُ ثُمَّ جَعَلنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصلاها مَذمومًا مَدحورً)

نعم الدنيا العاجلة ليست بجانب الحق ولا ضدهُ أيضاً، فلماذا إذاً نتعجب مما لدى المُجرمين من أموال وسلطة وغيرها رغم أن الله لم يخبرنا بأنها محظورةٌ عليهم وبأنهم سيُحرَمونَ منها ؟

﴿وَمَن أَرادَ الآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعيَها وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأولئِكَ كانَ سَعيُهُم مشكوراً)

وباب الآخرة مفتوح لكل صادق والقضية ليست محصورة ولا ضيقة بحيث أنك لو وددت أن تأخذ الآخرة ضاعت عليك الدنيا.

لماذا نظل نسمع في خُطبِ الجمعة الإشادة بالزهد وترك الدنيا وأن الصالحين كانوا فقراء ؟

عبد الله بن أبي قحافة الذي كنيته هي أبو بكر ألم يكن صالحاً ؟ ومع هذا كان غنياً

أين نسوا عثمان بن عفان ؟

أين عبد الرحمن بن عوف ؟

أين أُسيد بن حضير ؟

أين وأين غيرهم ؟

بل قد أخبرنا الله بهذا وقال

﴿كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظورًا﴾

﴿انظُر كَيفَ فَضَّلنا بَعضَهُم عَلى بَعضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكبَرُ تَفضيلًا﴾

أذكرُ أني أيضاً في أحد الأيام كنتُ قد دخلت لحساب الفيس بوك الخاص بي لأحد المجموعات التي تجمع أناس من كافة الأفكار والمعتقدات في الوطن العربي

كتب أحدهم منشور نصه

(ما الفرق بين الجنة وبيت الدعارة ؟ كلاهما مليئان بالجنس والخمور بل يبدو أن الجنة فيها أكثر)

لا أنسى حينها كم شعرت بخوف من هذه الفكرة

شعرت بخوف من أن تنهدم كل عقيدتي بسطر ونصف كتبهُ أحدهم

ولكني بعد فترة وبعد بحثٍ مضني حللت شيفرة هذا السؤال الإبليسي بامتياز.

توجد مقولة لابن عباس يقول فيها :

" ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء"

تخيل لو وعدنا الله بدلاً عن أنهار من لبن وعسل وخمر

بأنهار من جهر و عرم و لطن هل كان المسلمون سيجدون في هذا إغراء ؟؟ أبداً، لأنهم لا يعلمون ما هو هذا الجهر وهذا العرم وهذا اللطن !

وفي المقابل فإنّ في الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر أي أن كلهُ جديد فكيف يمكن إغراء المسلمين بما فيها ؟

لا توجد طريقة إلا أن يتم الإغراء عبر أسماء ملذات معروفة في الدنيا

ولنُرَكِز على طريقة وصف الله لِما في الجنة في سورة محمد حين قال

﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقونَ فيها أَنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ آسِنٍ وَأَنهارٌ مِن لَبَنٍ لَم يَتَغَيَّر طَعمُهُ وَأَنهارٌ مِن خَمرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ وَأَنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُم فيها مِن كُلِّ الثَّمَراتِ وَمَغفِرَةٌ مِن رَبِّهِم كَمَن هُوَ خالِدٌ فِي النّارِ وَسُقوا ماءً حَميمًا فَقَطَّعَ أَمعاءَهُم﴾

انتبه إلى أنهُ قال "مَثَلُ" الجنة التي وعد المتقون ولم يقل الجنة التي وعد بها المتقون بدأ بكلمة "مَثَلُ" لأنه فقط مثال تقريبي لا حقيقي لأنه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء.

ثم إنهُ عندما تكلم الله عنِ الحورِ العين لم يفصل أنهن نساء وإنما هي محاولة تقريب لنعيم سيعيشونه في الجنة، هذا النعيم الذي سيعيشونهُ هناك سيكون من نفس نوع متعة الجنس ولكنهُ سيكونُ أكبر وحتى عندما ذكر الخمر في سورة الصافات قال

{ يُطافُ عَلَيهِم بِكَأسٍ مِن مَعين(45)بَيضاءَ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ (46)لا فيها غَولٌ وَلا هُم عَنها يُنزَفون }

أي ليس لهذا الخمر أي تأثير مُسكِر وليس له صداع على الرأس أو أي ضرر جسدي لذا يتضح الآن أنه مشروب مختلف تماماً عن الخمر ولكن كي يقرب الله لنا الصورة شبه لذة شربه بنشوةِ شربِ الخمر.

وأنا أرى بأن نعيم الجنة لا يسع العقل البشري إحاطته وأخذ تصور كامل وصحيح عنه.

ثم إني أميل إلى فكرة أن نعيم الجنة كلهُ روحي لا جسدي، وبالتالي فإن قوانين الأجساد هنا لا سلطان لها هناك ولا قوة ولا حدود. فلا حَدَّ لمقدار أكلك فهناك لن تأكل بناءً على حجم معدتك ثم بعدها تشعُر بالثِقَل والتُخمة فلا تستطيعُ مزيداً.

ولن يصادف بعدها أن تكونَ مع أحبابك فتعتذر منهم لتذهب للحمام لتفريغ فضلات طعامك، ثم هناك إن مارست علاقةً حميميةً ووصلت فيها لذروة النشوة لن يكونَ هناك لديك مدة معينة لتصل فيها للذروة ثم تخمد بعدها.

هذا كلُهُ في الدنيا.

أي إسقاط لهذهِ الأشياء على الجنة سيقوم بعملية تشويه لهذه الجنة وستكون فعلاً حينها بيت دعارة خمسة نجوم، لذلك يجب علينا أن نرقى في تصورنا للجنة وأن الله أعد لعباده كل جميل لا كل مُثير أعد الله لهم فيها كُل نعمة لا كُلّ شهوة رخيصة.

ثم لو سلمنا بأن الحور العين هي رمز الجنس فهي رمز جنس للذكور وبالتالي من باب العدل الإلهي سيوفر الله رموز جنس للإناث فكما أن الذكر يتخيل أنه سيكون كل يوم في حضن واحدة هي ايضاً لماذا لا تكون كل يوم في حضن أحدهم ؟

هل انزعجتَ الآن ؟ هل أغاظكَ الكلام ؟ هل أزعجتكَ الفكرة ؟

هل تخاف من الغيرة والغل والحقد ؟

لا تخف فالله سيتكفل بإخماد الغيرة كما تكفل بنزع الغل والكره من صدور أهل الجنة

﴿وَنَزَعنا ما في صُدورِهِم مِن غِلٍّ إِخوانًا عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلينَ﴾

هي ستتنعم كما أنتَ ستتنعم.

أنت تظن أنها ستبقى زوجة لك وأنك ستتمتع مع عشرات غيرها والله سيتكفل بإزالة مشاعر الحزن والغيرة من صدرها.

لا تقلق هي أيضاً ستبقى زوجة لك و ستستمتع مع العشرات غيرك وسيتكفل الله بإزالة مشاعر الحزن والغيرة من صدرك.

ولكن لا، يستحيل على المسلمين القبول حتى باحتمال حدوث هذهِ الفكرة.

لماذا ؟ ليس لأنهم يملكون أدلة تنفي احتمالية حدوث هذهِ الفكرة بل لأننا مجتمع ذكوريّ مُتعصّب حتى خيالاتنا لنعيم الجنة ذكورية بحتة.

وبما أننا دخلنا الآن لموضوع الذكورية وتعصبها في مجتمعنا دعوني أحكي لكم عن حادثة حصلت معي في تلك العصرية.

توقَفَت بجانب مكان جلوسي سيارة مارسيدس موديل 2012 فضية اللون كان زجاج النافذة مُعكّس فلا يُرى من بداخله وانفتح الزجاج ورأيتُ السائق أو بالأصح السائقة وكانت امرأة في بداية العقد الثالث من عمرها لا تغطي وجهها كأغلب نساء البلد بما نسميه عندنا "برقع" وهو شبيه بالخمار وإنما كان وجهها مكشوفاً ولا أرى بأساً في هذا، سأكملُ وصفها، كان واضحاً أنها وضعت على شفتيها الكثير من أحمر الشفاه وكأنها تبحث عن مُفتَرِس لتجعل نفسها ضحيته، كانت تضع نظارات شمسية سوداء اللون.

عطرها بدأ بالتسلل من السيارة، يبدو أنها أرادت جمع الفَراش حولها، كانَ جميلاً إن أحاطتها الفراشات ولكن مع الأسف ما حاوطها كان ذباباً لا فراش.

هل يا ترى يمكن أنها الآن توهِم عائلتها بأنها في المعهد أو بأن اليوم لديها دوام جامعة إضافي أو بأنها لدى إحدى صديقاتها.

تذكرت الآن قريبة لي كانت تخرج مبكراً من الجامعة لتذهب لنوادي الشيشة كي ترفّه عن نفسها رغم أنها تعلم أنه لو عرف والدها أو والدتها تلك المرأة الحازمة بذلك لحرموها من هواء الجامعة حينها وما الذي يفيدها وقتها إن بكت و ونّت.

تُخرِج هاتفها الذي من ذا الذي قد يمتلكه في بلدنا حالياً؟

في بلدي كُلُ شيءٍ في ارتفاعٍ مستمر إلا الإنسان فإنهُ يُهدَرُ باستمرار، نعم بلادي أرخص ما فيها أنا كما قال أدهم شرقاوي

تتكلم مع أحدهم على الهاتف ضحكاتها تلفت الآنظار أكثر وأكثر نحوها، بعد لحظات تقلب أحد حاجبيها مِن فرطِ غُرورٍ لا حِمل لحاجبها به، يا لكِ من غريبة ! هل انتهت جميع الأماكن الأرستقراطية ولم يبقَ سوى هذا المكان المُتعبَة أحجارهُ تعباً حاشى أن يقاربَ تعب من يجتمعون حولها.

كيف تأتين لمكان كهذا يحتشد فيه فقراء البلد والطبقة المتوسطة التي هي أساساً فقيرة حسب المعيار الدولي نحن فقط نسعى ل ألاّ نكون الأكثر فقراً نحاول ألا نهرول بشكل أسرع نحو هاوية الجوع ففي التأني السلامة كما يقولون .

أفهمكِ نعم أفهمك أنتِ تجدين قيمتك من كمية النظرات التي تُطلَق عليك، فكل ما جذبتِ الأنظار أكثر تشعرين بقيمتك أكثر ولهذا تتفننين في حصد أكبر عدد من النظرات ولكن أيتها الذكية ألا تعلمين بأنها مجرد نظرات شهوة جائعة في مجتمع محروم في مجتمع كلما زاد فقراً زادت معهُ المهور علواً وزادت تكاليف الأعراسِ فيهِ ارتفاعاً، نعم نحن مجتمع لا يُصدّق.

قرأتُ مرةً مقولة لا أدري أهي حديث نبوي أم اقتباس لأحدهم يقول فيها

"حيثما تكونوا يولّى عليكم"

هل يُعقل أننا بكل هذا السوء أسوأ حتى من الدول التي نراها كافرة ؟

لم أُكمِل حديثي معكِ يا فتاة، يا جسداً يشتهيه كلُ من رآه يا موضعاً لمئات المشاهدين الذين لا يريدون منه سوى قضاء حاجتهم فيهِ وعليه وإلا فأي واحدٍ منهم يقول ماذا أريدُ غير هذا من (.....) كهذه.

ولكِ أن تضعي بداخل القوس أي شتيمة تأتي ببالِكِ أولاً، هذا الكلام مزعج وشنيع ولكنها حقيقة الأكثرية الذين ينظرون لكِ، لم أقم سوى بتجسيد هذه الحقيقة الغيرُ مُريحة على شكلِ كلمات.

يمُر أحدهم بجانبها ليقول لها يا حلوة فتتظاهر بأنها تنزعج ولكن تواصل استقرارها في شارعنا وكأن حالها كحالنا نحن الذين لم نجد لنا مكاناً غيره لنجلس فيه نعم بارك الله في حاكمنا الذي حكمنا 33 سنة قد صنع لنا ألفاً من المنتزهات الحكومية ولكننا نُصِر على ملازمة السائلة أو التحرير نعم أنا الآن في الميدان ميدان التحرير كما يقولون.

تحرير ماذا ؟ تحرير من ماذا ؟ لا أدري المُهم أننا تحررنا

حتى لو كنا تحررنا من وعينا فصرنا متحررين منه لذلك كل من أتى وكل من هبّ ودبّ قام بتحريك هذا الشعب كالقطيع بل هذه "أوصافٌ ناقصة" كما قال أحمد مطر :

نزعُم أننا بشر لكننا خِراف

ليس تماماً إنما في ظاهر الأوصاف

نُقادُ مثلها ؟ نعم

نُذعِنُ مثلها ؟ نعم

نُذبَحُ مثلها ؟ نعم

تلكَ طبيعةُ الغنم

ولكن يظل بيننا وبينها اختلاف

نحنُ بلا أردية وهي طوال عمرها ترفلُ بالأصواف

نحنُ بلا أحذية وهي طوال عمرها تستبدلُ الأظلاف

وهي لقاء ذلها تثغو ولا تخاف

ونحنُ حتى صمتنا من صوتهِ يخاف

وهي قبيل ذبحها تفوز بالأعلاف

ونحنُ حتى جوعنا يحيا على الكفاف

هل نستحقُ يا ترى تسمية الخراف ؟

تفضل أجِب، ولكن احذر أن ترفع عليك منظمة الغنم العربية دعوى تتهِمُك فيها بإهانتك لحضرة قطيع الغنم حول ارجاء العالم العربي عبرَ تشبيه نفسك بها ؟ من أنتَ حتى تهينها ؟ من أنتَ حتى ترقى لها ؟

ألم تسمعِ المشاتمة التي سمعها أحمد مطر ؟

حينَ قال الصبيُ للحمار : يا غبي

فرد الحمارُ على الصبي : يا عربي.

هداكمُ الله أدخلتموني في السياسة الملعونة دعونا من السياسة فكلها وساخة دعوها للوسخين كي يزيدوا هذا الشعب عفناً ودعونا نظل الأبرار الأغبياء الذين صاروا يهوون أن يعيشوا دور الضحية.

دعوني أعود لأحكي لكم باقي ما حصل مع حضرة السيدة

تواصل مكوثها فحاشى بأن تكتفي بالنظرات التي تلقتها حتى الآن .

حاشا أن تشبع من الكلام الذي يُرمى لها كلّ قليل

- (انا فدى للنظارات ولصاحب النظارات)

نعم كانت هذه إحداهن

قاطعني هذا الحقير بجملته المنحرفة وأنا أُعطي لهذه الوقحة درساً بداخل نفسي عن القيم والأخلاق التي لا نمتلكها أساساً ولكننا كريمين حاشا أن نبخل بإعطائها وتدريسها.

- لا يتذكرون من الدين إلا أنه يسعهم الزواج بأربع وأن إرثنا هو نِصف إرثهم .

هكذا قالت في الهاتف وأتوقع أن من على الطرف الآخر سيرُد نعم ذكور معفنين .

- ذكرتني بنكتة تقول

" يريدون أن يطبقوا شرع الله ويتزوجوا أربع وتلكَ خمس صلوات لم يستطيعوا الالتزام بها "

بخصوص مسألة الإرث كنت أتمنى أن آتي إليها لأستخف بها أولاً ثم لأقول :

أولاً يا حضرة الفيلسوفة فلا بد أن تعلمي بأن الأولوية الأولى في تقسيم الإرث هي درجة قرابة الوارث من الميت لا جنس الوارث فابنة المتوفي تأخذ أكثر من أب المتوفي أو أخيه أو جده مع أنها أنثى و أولئك ذكور .

الأولوية الثانية هي لجيل الوارث فالجيل الأصغر يأخذ أكثر مما يأخذ الجيل الأكبر لأن الصغار لا زالوا مقبلين على الحياة وأعباءها ونفقاتها بينما أولئك صاروا أقرب للرحيل عن الدنيا.

فبنت المتوفي ترث النصف أي أكثر من أب المتوفي وللمرة الثانية جنس الوارث ذكراً كان أم انثى ليس لهُ دخل.

الأولوية الثالثة والتي لها علاقة بجنس الوارث هي

(الأعباء المالية تقع على مَن أكثر ؟) فلو ورث ذكر عن أبيه مليون والفتاة ٥٠٠ ألف لماذا ننسى أن هذا الذكر عليه أن يعول وينفق على عائلته من حيث المأكل والمسكن والملبس بينما حضرتها لا يقع عليها شيء من هذه المسؤولية.

حضرته عليه أن يدفع مهر لزوجته.

حضرتها ستستلم مهر.

حضرته سيُنفق على زوجته وأولاده ومعيشتهم.

بينما حضرتها سيتم الإنفاق عليها وعلى أولادها وعلى معيشتهم.

علأوةً على أن هناك تكاليف أُخرى هي مبرأه منها.

هي ليس عليها أن تشارك في دفع دية قتل خطأ ارتكبهُ أحد أقاربها ولكن هو مُلزَم بالمشاركة والمساهمة مع قريبة.

لا تدعيني أتفاعل الآن وأقول لو كان بيدي لأعطيتك الرُبع لا النصف ولكن الله قد رحم ولطف وقدّر من عنده وأكرم، ولا ننسى أن التقسيم الإلهي لهذا مستند لحكمة الرب لا لطريقة تقسيم عشوائية.

هذا السخط كله والضجة الإعلامية الحاصلة منِ قِبَل العلمانيين في الفضائيات والبرلمانات كل فترة ليست هي المصيبة الأكبر بل المصيبة الأكبر هي أن الحالات التي يرث فيها الذكر ضعف الأنثى هي فقط ثلاث حالات! نعم صدق أو لا تصدق ! وسأسردها باختصارٍ لك الآن.

الأولى : مع أولاد المتوفي فيأخذ أولاده ضعف نصيب بناته.

الثانية : مع الأزواج حيث يرث الزوج عند وفاة زوجته ضعف ما ترثه هي في حال وفاته فإن كان لهم ولد ورث الزوج الربع والزوجة الثُمُن وإن لم يكن لهم ولد فيرث الزوج النصف وترث الزوجة الرُبع.

والثالثة والأخيرة هي بين أب وأم المتوفي فتأخذ أم المتوفي نصف ما يأخذ أبو المتوفي.

وهكذا كما نرى فإن الله قد قسم المواريث لا حسب الجنس ولا لظلم النساء أو لهوانهن عليه بل حسب تقسيم ذو معيار مادي بحت يقوم

على أيهما أكثر حاجة وأيهما لديه مسؤوليات أكبر نحو المجتمع والأسرة وأيهما من واجباته أن يُنفِق وأيهما من حقوقها أن يُنفَق عليها مصانة مكرّمة مشرفة كونه حق لها لا مِنّة من الذكر ولا فضل لهُ عليها بل واجباً عليه حتى ولو كانت أغنى منه. ولكن في المقابل يلزم عليها احترام وتقدير الذكر المُلتَزِم بواجباته نحوها وتقدير المجهود الذي يتم بذله نحوها من توفير احتياجاتها وغيره.

سمعتُ صوت محرّك سيارتها يشتغل ففهمت أنها قررت الرحيل

الوداع يا مسكينة.

وعُدتُ لجوِّي البئيس

ثم تأملتُ حياتي فوجدتُ كأن الله قد جمع حولي من الناس من ماتت أحاسيسهم و تجمدت مشاعرهم،

أُخبرهم بعزائي فيضحكون

أُخبرهم عن عنائي فيكلموني عن كتبهم و ثقافتهم

أُخبرهم أن سقف بيتي انهد ولم يعد لي مسكن

فيقول لي أحدهم : ستجد إحدى الروايات لتعيش فيها،

والآخر يقترح أن عيشي بداخل أحد المسلسلات التركية هو حل أفضل.

والثالث كله عبارة عن لسان (أتحتاج شيء ؟)

نعم أحتاج

أحتاجُ أن يُحيي الله ضميرك يا عديم الوجدان.

و الرابع من كنت مستعد للتضحية بالغالي والنفيس لأجله

نظر لي بعين خاشعة وقال (كان الله عونك)

ألا فليبارك الله حياتي بإخراجك منها يا من جئت تقلد شخصية درامية أمامي.

اذهب لا كثّر اللهُ من أمثالك.

والخامس يا للخامس

ينكسر ظهرك وتصيبك أربع طعنات فيقول

(لابد لي أن أقف معه لا يصح أن أعطيه كسرتي وطعنتي الآن دعه يتعافى قليلاً ثم سأبدأ دوري)

أبشرك كل شيء تم

هدمت، طعنت، كسّرت، حطمت

أختم لكم بسادسنا

سادسنا هو من هدّ سقف بيتي أساساً ثم شرّد بي

شرّد اللهُ سعادته

أتاني وأنا تعيس ليقول لي : تعال عِش في بيتك

أيا لعين هل نسيت أن الشيطان اختارك لتهُدّ ما تبقى من أمانيّ وأنكَ استكثرت عليّ سقفَ بيتي.

فيقول لي : حسناً ابقَ في المكان الذي تجد راحتك فيه

أيا رجيم من غيرُك راودَ راحتي عن نفسها فلما امتَنَعَت وقالت معاذ الله سجنتها كما سجنوا يوسف.

وأنا يوسُف ولكن ليس لي أبٌ تبيض عيناهُ من الدمع

ليس لي أب تسقط منه لا دمعة بل حتى همسة لأجلي

فيا رب تلاشى من كان حولي عن حولي

ءأنتَ تُخرجني من السجن ؟

أم تضعني فيهِ بضعَ سنين ؟

اللهم أخرجني بألطف سُبُلِك

وتذكر أن الجَمع قسوا عليّ فاحنُن

قسوا فارفُق

أغنني عنهم

لا تسمح ببقائي في الظلام

ألن تعطيني نطفةً من نورك فتنير دنياي وآخرتي ؟

سمعتُ حينها أذان المغرب فذهبتُ مُتعَبَ الجسد لعلّ روحي تجدُ الراحة حينما أُصلي ولعلي حينها أنسى بعضاً من أوجاعي.

رسالة واتس اب

في أحد الليالي القريبة زمناً من لقاء علاء وأمجد فتح فيها علاء الواتس اب الخاص به فوجد رسالة وصلته من من أمجد ففتح الدردشة وبدأ بالقراءة :

السلام عليك

هذه هي الرسالة التي وعدتك بكتابتها لك واعلم أني كتبتها لك بنفسي أي لا تظن أني قمت بنسخها ولصقها من أحد المواقع، وبسم الله لنبدأ

قال الشيخ محمد الغزالي في كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث

(الحق أن الغناء كلام، حسنه حسن وقبيحُه قبيح)

وعلق أحدهم على هذا الكلام قائلاً :

(هناك أغانٍ آثمة في ليالٍ مظلمةٍ، وإن كثرت فيها الأضواء لا تسمع فيها إلا صراخ الغرائز وفحيح الرغبات المحرمة، وهناك أغانٍ سليمة الأداء شريفة المعنى وإن كانت عاطفية.

والواقع أن البيئة الفنية اليوم كما تترامى إلينا أنباؤها تعيش في أرض الغرائز ولكن هل هذا سر تحريم بعض الوعاظ الغناء ؟ ربما، ولكن الإنصاف يفرض علينا غير ذلك

هناك مِن حملةِ الأقلام من عاش ذليلاً لحكام الجور يتلونون كالحرباء في خدمتهم يصبح ويمسي وهو يخادع الجماهير عن حقوقها وحرياتها فهل هذا البغاء الصحفي يجعل الصحافة باطلاً ؟ كلا.

مِن رجال الدين من يعيش بلا دين بل ربما كان عائقاً للدين فهل ذلك يعني أن الدين باطل ؟ أيضاً كلا)

وقال أيضاً إمام الدعاة محمد الغزالي في كتابه مائة سؤال عن الإسلام صفحة 127

: (قدُ يفهَم من ذلك أني أحارب الغناء والموسيقى والترويح عن النفس، لا ،ولكني ألحظ أن الأمة العربية والإسلامية تريد أن تعمل قليلاً وتغني كثيراً، والاستجمام(الترويح عن النفس) حق المرهقين لا حق القاعدين !

أما الغناء فكلام، حسنهُ حسن وقبيحهُ قبيح، ومن غنى أو استمع إلى غناءٍ شريف المعنى طيبِ اللحن فلا حرج عليه ! ونحن ما نحارب إلا الغناء هابط المعنى واللحن.

لم يرد حديث صحيح في تحريم الغناء على الإطلاق، وقد احتج البعض بقوله تعالى :

{ وَمِنَ النّاسِ مَن يَشتَري لَهوَ الحَديثِ لِيُضِلَّ عَن سَبيلِ اللّهِ بِغَيرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُوًا أولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهينٌ (6) تُتلى عَلَيهِ آياتُنا وَلّى مُستَكبِرًا كَأَن لَم يَسمَعها كَأَنَّ في أُذُنَيهِ وَقرًا فَبَشِّرهُ بِعَذابٍ أَليمٍ }

ولعمري أن من يشتري جد الحديث أو لهوه للأسباب المذكورة في الآية جدير بسوء العقاب، أما من يريح أعصابه المكدودة بصوتٍ حسن ولحنٍ جميل فلا علاقة للآية به، وكما يقول ابن حزم : لو اشترى مصحفاً للإضلال فهو مجرم.

ويبدو أن اقتران الغناء ببعض المحرمات من خمر وفحش، وما يشاع عن البيئة الفنية من تحلل هو الذي جعل عدداً من العلماء يحرمه، وإلى هذه الجملة من الرذائل يشير حديث البخاري إلى من يستحلون الحر والحرير والخمر والمعارف .

بيد أنه ليس من الضروري أن تجتمع هذه العناصر كلها عند سماع أغنية وعلى أية حال فإذا كان الغناء مقروناً بتلك المحرمات فهو مرفوض، أما إذا بَرِئَ منها فلا شيء فيه.

والموسيقى كالغناء وقد رأيت في السنة أن النبي مدح صوت أبي موسى الأشعري وكان حلوا ، وقد سمعه يتغنى بالقرآن فقال له :

" لقد أوتيت مزماراً من مزاميرِ آلِ دأود"

ولو كان المزمار آلة رديئة ما قال له ذلك.

وقد سمع رسول الله صوت الدف والمزمار دون تحرج ولا أدرى من أين حرم البعض الموسيقى، ونفّر من سماعها ؟)

انتهى كلام الشيخ الغزالي ودعني أستمر في ذكر شواهدي الأخرى :

وسأبدأ بالصحابي الجليل الجواد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال الإمام الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء : السيد العالم أبو جعفر القرشي الهاشمي له صحبة (أي أنهُ صحابي) و رواية (يروي الأحاديث) كان وافر الحشمة كثير التنعم وممن يستمعون الغناء وكان له موالي اشتراهم فقط لكي يغنوا، وذكر بعضهم الإمام ابو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ومنهم :

عمارة مولاة بن جعفر

نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر

نشيط مولى عبد الله بن جعفر

سائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر

ام جعفر المدنية مولاة عبد الله بن جعفر

بديح مولى عبد الله بن جعفر

وذكر الإمام الشوكاني في كتابه نيل الأوطار عن أبي منصور البغدادي الشافعي أن عبد الله بن جعفر كان يصوغ الألحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(أي أنهُ كان يصنع ألحان بنفسه وفوق كل هذا لم يمنعه الإمام علي أو يعاقبه ولو لمرة)

ولنأتِ لإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه أي أنهُ ابن حفيد الصحابي عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قال الإمام الذهبي في ترجمته : الإمام الحافظ الكبير من أكثر اهل المدينة حديثاً في زمانه وروى له الجماعة أي حتى البخاري ومسلم.

وقال الذهبي كان إبراهيم يجيد صناعة الغناء

وروى الذهبي وغيره قصة عجيبة له

وهي أن أحد الطلاب أتى ليسمع منه الحديث فسمع ذات مرة إبراهيم يتغنى، فقال له :

لقد كنتُ حريصاً على أن اسمع منك (الحديث) فأما الآن فلا أسمع منك (بسبب تغنيه)

فقال ابراهيم إذاً لا أفقد إلا شخصك

(أنت الخاسر الوحيد) وعليّ وعليَّ إن حدثتُ ببغداد حديثاً لا أحدث حتى أغني قبله.

وشاعت عنه هذه القصة حتى بلغت الخليفة الرشيد فدعا به الرشيد وسأله عن حديث

فقال إبراهيم إليَّ بعود (أعطوني عوداً)

فقال الرشيد أعودَ البخور ؟

قال لا، ولكن عود الطرب فتبسم الرشيد وفهم إبراهيم ان الرشيد سمع القصة.

فقال إبراهيم : لعلك بلغك حديث السفيه الذي آذاني بالأمس وألجأني إلى أن حلفت ؟

قال نعم ودعا له الرشيد بعودٍ فغناه

وقال له الرشيد مَن مِن فقهائكم يكره السماع ؟

فأجاب ابراهيم وقال : من ربطهُ الله.

انتهت القصة.

وذكر ابن حزم في المحلى أن ابن عبد الرحمن بن عوف سعيد كان يغني بالعود.

ولنتكلم الآن عن الماجشون يعقوب بن أبي سلمة المدني

قال الإمام الذهبي في السير : الإمام المحدث وحديثه في الكتب الستة، أي أن البخاري ومسلم أيضاً رووا له ولم يروا أن تعليمه للغناء كان قادح له يمنعهم من رواية حديثه.

وقال مصعب الزبيري : وكان الماجشون أول من علّم الغناء من أهل المروءة بالمدينة.

وقال مصعب بن عبد الله : كان يُعلِم الغناء ويتخذ القيان ظاهرٌ أمره (أي مشهور عنه تعليمه للغناء) وكان يجالس عروة وعمر بن عبد العزيز.

وسنتكلم الآن عن يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون وهو ابن يعقوب السابق.

قال عنه ابن معين كما روى الذهبي في السير كنا نأتي يوسف بن الماجشون يحدثنا (يستمعون الأحاديث منه) و جواريه في بيت آخر يضربن بالمعزفة (آلة عزف)

تخيل يطلبون الحديث من شخص لهُ جواري تغني في البيت المجاور لطلب الحديث النبوي، أين المتشددين اليوم من كل هذا ؟ لماذا لا يتجرؤون على سرد هذه القصص لنا ، أم أنهم يخافون أن يكون الحق هو غير رأيهم وبالتالي ففي هذهِ الحالة يُعتبرون متعصبين لرأيهم، وسأذكر الآن الشخصية التالية وهو :

الإمام عبد الملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون

ذكر الذهبي في السير أن ابن البر قال عنه : كان فقيهاً فصيحاً دارت عليه الفتيا في زمانه وعلى أبيه قبله وقال : كان مولعاً بسماع الغناء

قال عنه أحمد بن حنبل : قدم علينا ومعه من يغنيه (أي من يغني له)

وقال ابن معين قدم علينا عبد الملك ومعه من يغنيه فكنا نسمع صوت معازفه

وهذا في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض

وقال الزركلي في الأعلام : كان مولعاً بسماع الغناء في إقامته وارتحاله (أي حتى في سفره).

أنقل لك الآن ما نقلهُ الإمام أبو حامد الغزالي عن بعضهم أنهم قالوا :

(من لم يحركه الربيعُ وأزهاره والعودُ وأوتاره فهو فاسد المزاج مالهُ من علاج).

ويجدر بي أن أذكر أن الإمام أبو الفتح ابن دقيق العيد القشيري في كتابه اقتناص السوانح أتى فيه بدلائل على حل الغناء.

وكذلك ذكر الأصفهاني في كتاب الأغاني عن الأصمعي أنه كان هناك جار للإمام أبو حنيفة فكان إذا انصرف في غرفته يغني ويسمع أبو حنيفه غناءه فيعجبه وتأخر أحد المرات ليلاً فلقيه العسس وهم بمثابة شرطة ليلية وأخذوه، فغاب صوته تلك الليلة عن أبو حنيفه، فسأل عنه فيما بعد فعلم بشأنه فذهب ليخرجه من السجن وبعد أن شكر الجار أبو حنيفة قال له أبو حنيفة : عُد إلى ما كنت تغنيه فإني كنت آنسُ به ولم أر بهِ بأساً

قال : أفعل.

انتهت القصة

واعلم أن الخطيب البغدادي قد روى في تاريخ بغداد أن شيخ المفسرين مجاهد كان يغني لأصحابه .

وذكر إمام الحرمين وغيره أن عبد الله بن الزبير كان له جوارٍ عوادات (جوارٍ يعزفن بالعود)

ويحكي الأستاذ أبو منصور البغدادي الشافعي أن القاضي شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي وأيضاً عن مذهب الإمام مالك إباحة السماع (سماع الغناء).

وقال الإمام الماوردي : لم يزل أهلُ الحجاز يرخصون (يُجيزون) في السماع حتى في أفضل أيامِ السنة المأمور فيها بالعبادة والذكر.

وعن ابنِ جريج أنه كان يرخص في السماع.

فقيل لهُ : أيؤتى يوم القيامة في حسناتك أم في سيئاتك؟

فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو

وقد قال الله : لا يؤاخذكم الله باللغوِ في أيمانكم.

واعلم يا علاء أن هؤلاء ليسوا جميعهم وأختِم بذكر أسماء أخرى لأُناس آخرين رأوا إباحة السماع منهم :

أبو محمد بن حزم الظاهري الأندلسي المشهور بابن حزم - ابن طاهر القيسراني - أبو حامد الغزالي - العز بن عبد السلام - جلال الدين الرومي - الشوكاني - حسن العطار - محمود شلتوت – محمد أبو زهرة – محمد الغزالي - يوسف القرضاوي وغيرهم في القديم والحديث.

ولكَ الآن حرية الاقتناع بعد حديثنا في اليوم السابق وبعد هذا العرض المطوّل وأظن أن الموضوع كان يستحق الإطالة.

وختاماً استودعتك الله

سؤال وإجابة

سألني أحدهم ذات يومٍ قائلاً : علي ماذا استفدتَ من الشيخ عدنان ؟ فقلتُ منذ عرفته لم أعد أهتزُ لكلِ عابر، لم أعُد أتزلزلُ من كل شبهة، لم أعُد أنخدع بكلِ لحية، لم أعد أخضعُ صامتاً وائِداً رأيي وإيماني في أي مسألة فقط لأن الإمام الفُلاني لا يقول مثلما أقول.

لم أعد اخشى من نتاج أفكاري، لم أعد أخشى النار بقدر ما أرجو الجنة، ولم أعد أرجو الجنة بقدر ما أهرول خلف حُب الله.

لم أعد أكره إنسان فقط لمجرد دينهِ أو عقيدته .

لم أعد أتعامل مع الحقائق ومع من حولي كما لو أن عندي الحقيقة المطلقة وأن ما أراهُ حقاً هو حقاً الحقيقة وما أراهُ زيفاً هو الباطلُ والشرُ بعينه، لم أعد مغروراً لأقول من خرج من حياتي فهو الخسران، لأني ربما أكون أنا هو الخسران الأكبر لماذا المكابرة.

ولو لم يكن لنا حظٌّ من الشيخ عدنان غير أنّه أنسَنَ طباعنا، وجعلنا نُبصرُ بقلوبنا، ونعلو بألسنتنا، ونرنو بعقولنا لكفانا.

لم أعُد كما كنتُ قبل الشيخ عدنان، لقد تبدُلتُ كشجرةٍ جاء ربيعُها بعد خريفٍ مُتيهٍ أعقَبهُ شتاءٌ من الجمود.

فتح علي حينها صفحة الفيس بوك الخاص به يتصفحهُ كعادته وقد وقع عينه على منشور جذبه عنوانه فبدأ بقراءته خصوصاً وأن ناشر هذا المنشور هو شخص يحب علي متابعة جديده وبدأ بالقراءة :

" صور الموتى "

أمشي في الشوارع وأرى صور قتلى الحربِ معلقةً في الشوارع، ولكن هذه المرة لم يكنِ الأمرُ ككل مرة، هناك شيء جديد قد طرأ، لقد أصبحتُ أكبر من الموتى أو هكذا خُيّل لي.

صديقي المتوفي الذي كان قديماً أكبر مني صرتُ الآن أكبر منه، نبتت لي لحية ولم تنبُت له، وصلت للجامعة ولم يستطع الوصول، لم يستطع تجاوز سن السادسة عشر بينما أنا وصلت لسن التاسعة عشر.

ملابسهُ المتبقية صارت صغيرة علي.

تأملتُ حينها صديقي الذي صار عمره 35 سنة

توفي أخوه الكبير وعمر صديقي 15 عاماً حينها

بينما كان عمر أخيه في وقتها 17 عاماً.

الآن صديقي صار الأخ الكبير ولم يعد الصغير

فمن كان كبيراً قد توقف عمره عند السابعة عشر أما صديقي فقد تقدم عليه بمراحل .

لكنه سيظل يتذكر مساندة أخيه الكبير له ولكن بجسمه الصغير ذاك.

لن يعرف كيف كان سيكون شكله عندما يكبر.

لن يرى أخاه أباً، أخوهُ الكبير سيظل ذلك المراهق الصغير.

هذه هي صور الموتى .

كتب علي تعليقاً على المنشور :

أبدَعتَ ككُلِّ مرة ولكن إبداعك هذه المرة حفزني أن أكتبَ خاطرة أو مقالة، نعم أعلمُ أني لن أجاريكَ بمستواي الحالي ولكني سأحاول إنتاج شيء رائع.

وشرع علي في الكتابة :

بطبيعة الحال كي يأتي طفل لهذه الدنيا يلزم وجود طرفين وبالطريقة الشرعية عندنا يلزم أن يكون الطرف الأول زوج والطرف الثاني زوجة يأتي الطفل بعد اجتماع الطرفين في علاقة تُسمى الزواج هذه كلها بديهيات نعرفها.

وكما نعرف يوجد في هذه الدنيا آباء سيئون وأمهات سيئات الآن تعال معي للافتراض الأول.

يوجد لدينا أب قبيح الأخلاق سيء المعاملة صعب المعاشرة، وهذا السوء طبعاً ينال أبناءه الذكور الجزء الأكبر منه.

تعال معي قليلاً وتذكر هذا الأب جيداً.

هذا الأب في الماضي اجتمع مع امرأة وتزوجوا فأنجبوا ابناً ذكر، لو غاب أحد الطرفين لما كان هناك وجود لهذا الابن.

في حالات كثيرة تتغاضى الأم وتتجاهل كمية السوء التي يتعرض لها أولادها من أبيهم عندما يقولُ لها :

أولادي لي كل الحرية ما أفعلهُ بهم، لا دخلَ لأحد.

حينها قد تقول الأم :

(هو أبوهم ليفعل بهم ما شاء)

أقولُ لأمثال هذهِ الأم :

أيا حضرة الأم، زوجك هو أب وليس إله كي يفعل بهذهِ الأمانات ما شاء وكأن الله لن يسألهُ عنها.

يجب أن تتدخلي وتمنعي هذا السوء لأنكِ شاركتي في إنجابه لهذه البيئة اللعينة فكيف تتركينه الآن ليستبيحه الطرف الآخر دون اهتزاز شعرة منك.

وطبعاً توجد أمهات لا يُفرِّطن في أولادهن بهذه الطريقة التي تُنتِج لنا ابناً يعيش في بيئة أسرية مسمّمة.

ولكن في افتراضنا هذا الأول سنعتمد وجود الأم التي تركت أولادها ضحية لافتراس الأب لهم وفتكِهِ بهم.

ولنأتي الآن للافتراض الثاني :

حيث تكون هناك بنت لأب وأم وتكون الأم سيئة الأخلاق والمعاملة والمعاشرة.

الأب يترك الفتاة لهذه الأم السيئة تظل تدمر هذه البنت المسكينة التي في أغلب الحالات تنشئ لديها عقد وامراض نفسية معها لأن سندها وظهرها لم يحمها بل سمح بأن يحدث لها كل ما حدث لها بحجة

(هي أمها وليست امرأة غريبة)

حسناً، ولكن حتى ولو كانت أمها فلا يحق لأي مخلوق في الكون وأنا أعنيها حرفياً في الكون كل الكون أن يُسبب أي عُقد أو مخأوف أو أمراض نفسية لأي ابن أو ابنة.

يفترض أن يكون الأب والأم هم الاطمئنان والسكون النفسي لأبنائهم لا العكس، ولكن هذا هو الواقع المؤلم الذي نراه كثيراً هذه الأيام مع الأسف خصوصاً في بلدي أما عن البُلدان الأُخرى فلم أذهب إليها لأرقُب حجم هذه الظاهرة المُغيظة.

وأكمل علي كتابة مقاله و أعاد قراءته سريعاً ليتأكد من عدم وجود سهوات إملائية جراء كتابته السريعة أو جراء خدمة تعديل الكيبورد للكلمات بشكل تلقائي، وبعد الفحص المُستَعجَل قام بنشره متلهفاً لعلهُ يلقى استحسان من سيقرأونه، لم يكتُب علي كل هذا الإبداع فقط لأنهُ تحمّس بل لأنه يعرف أناس كثيرين في محيطه يعانون من تلك القسوة التي كتب عنها لذلك يبدو أن ما جعل كلماتهُ بهذه القوة الملامسة

للوجدان هي أنهُ يرى شخصياً الآثار المُدمرة جراء وجود آباء وأمهات من هذا النوع وما أكثرهم لا كثّر الله من أمثالهم.

زائر الأسئلة

يُكمِل الشيخ عدنان أداءه لصلاة العصر في أحد الأيام السالفة ويمكُث قليلاً على حاله في حالة خشوعٍ استثنائية وكأنهُ يشعر أنهُ لا زالَ في حضرة الملك، على وجههِ ملامح تصوف لطيف لا إسراف فيه ولا تقتير بل بين ذلك قواما.

وبينما هو ذلك الحال أتاه أحد المصلين مبتسماً بخجل سلّم عليه وجلس أمامه

يعرف الشيخ هذا الشخص إذ أنهُ لا يأتيه إلا عندما تكونُ لديه أسئلة يشتهي بشغف فك شيفراتها وغالباً ما تدور موضوعاتها حول الشبهات.

في المرة الأخيرة كان هذا الزائر قد جاء ليسأل الشيخ عن قوله تعالى

{ إِنَّ رَحمَتَ اللّٰهِّ قَريبٌ مِنَ المُحسِنينَ }

وكان وجهُ سؤالِه أن الرحمة أنثى لا ذكر ويفترض أن تكون قريبة لا قريب لأنه لا يصح أن نقول أن الرحمة قريب بل أن الرحمة قريبة فهل هناك خطأ نحوي هنا ؟

أجاب الشيخ عدنان من فورِهِ وُبكلِ اختصار :

كل ما كان على وزنِ فعيل فهو لا يؤنَث.

و قريب هي على وزن فعيل لذلك لا تؤنث.

- إذاً المسألة صرفية لا نحوية ؟

- نعم تستطيع أن تقول أنها هكذا.

وخذ هذا المثال فبالأمثلة تتضح المعاني أكثر وتثبُت أطول

كلمة وزير وكلمة رئيس هي أيضاً على وزن فعيل ككلمة قريب.

لنفترض أن منصب الوزارة أو الرئاسة في أحد البلدان تنصّبت مقاليده امرأة اسمها نُهى، لغوياً لا يصح أن نقول الرئيسة نُهى أو الوزيرة نُهى بل الرئيس نُهى و الوزير نُهى.

وختم الشيخ كلامهُ بما وصفهُ بأنهُ كان من الأنسب أن يبدأ به وهو : أن قواعد النحو والصرف وغيرها تم استمدادها من القرآن أي أنهُ صاحب السلطان عليها وليس العكس، فإن حصلت معارضة علماً أني لليوم لم أجد أي معارضة بين قواعد النحو والصرف وبين القرآن ولكن فرضاً لو حصلت فسنقوم حينها بتخطئة القاعدة لا القرآن فالقواعد مصدرها القرآن أي أن أول المصادر التي أُخِذَت منها قواعد النحو والصرف هو القرآن الكريم.

ثم إن القواعد صياغة بشرية مستنبطة من القرآن وغيره وكما نعلم فالصياغات البشرية المُجرّدة من وحي أو إلهام رب السماء تكون معرضة للخطأ في كثير من الأحيان.

هذا ما دار بينهم في الزيارة الأخيرة

وأما في هذه الزيارة فقد جرى الآتي :

- عندي سؤال يا شيخ عدنان

- تفضل

- نعلم جميعنا الرأي القائل بحرمة إطالة الإزار لتحت الكعبين وأن ما تحت الكعبين فالنارُ أولى به ويوجد أحاديث صحيحة في هذا الشأن ولكن لماذا كل هذا الوعيد في ديننا تجاه هذه المسألة التي أراها لا تستحق كل هذا وأساساً لا أعلم الحكمة من تحريمه فما رأيك في هذه المسألة ؟

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار)

وهذا الحديث رواه البخاري

يتعجب الكثير من المسلمين لماذا هذا الحديث المغلظ المُشدد ونحن لم نفعل شيء سوى إطالة ثياب أي أن عملنا أصغر من العقوبة هذا إن اعتبرنا أن عملنا هو عمل سيء أساساً وبالتالي يستحق عقوبة.

ولكن سنتعرف الآن على الحكمة من هذا الحديث التي سنلتمسها حين نتعرف على الظروف التي صاحبت جو هذا الحديث وما لازمها من عادات وتقاليد وأعراف المجتمع الذي قيل فيه هذا الحديث، وهل سيتوقف العمل بهذا الحديث لأنه انتهى الغرض الذي من أجله جاء التحريم كما اليوم قد انتهت كفارات إعتاق العبيد كون العبودية والرق قد انتهى اليوم والحمد لله، كذلك هناك تشريعات للإسلام قد يمر الوقت ولا يبقى لها حاجة ولأن الإسلام مستوعب لكل زمان ومكان ليس متحجراً ولا مُتجمِداً

ولا متعنتاً فهو كالماء يستطيع أن يتشكل على شكل الإناء الذي يحتويه محافظاً على خصائصه وسماعه الأساسية.

مبدئياً أود أن أُخبرك أن هذا الحديث هو في حق الرجال فقط، أي أن المرأة ليست داخله ضمن هذا حديث الوعيد هذا .

و قبل أن نبدأ الآن بشرح الحكمة من تحريم إطالة الإزار قديماً، أي لماذا تم تحريمه سنجيب على سؤال هل البنطال يدخل في حكم الإزار ؟
والإجابة هي لا فالبنطال مختلف عن الإزار فلا يدخل في حكمه

بينما الثوب اختلفَ في شأنه فاعتبرهُ البعض إزاراً وبعضهم اعتبره شيء مختلف تماماً عن الإزار.

عموماً لقد كان للعنجهية والتكبر والغرور قديماً مظاهر عديدة بعض هذه المظاهر كان عن طريق الملابس، وكان من عادة العرب أن يطيل ذاك الصنديد المتكبر العنجهي زعيم القوم المغرور بنفسه المتفاخر بمالهِ ونسبه إزاره حتى يصل إلى الأرض أو أقل بقليل من مستوى الارض، وكما نعلم فالإسلام يحارب كل مظاهر التكبر والغرور.

وقد قال النبي

(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)

فكيف بمن وظّف رداءهُ ليكون أحد مظاهر الكِبر وهو إطالة الإزار حسب عُرف أولئك القوم ؟
والإزار هو لباس يُلبَس على الجزء السفلي من الجسم والإزار كما قلنا ليس

بنطال وكما قلنا أن بعض العلماء قال انهُ حتى الثوب لا يُعتبر إزار وأقرب ما يشبه الإزار اليوم هو ما يُسمى ب" المعوز "

والمعوز هو لباس شعبي شهير في اليمن

إذاً الآن هل علمنا سبب تحريم إطالة الإزار ؟

واليوم لو أن أحدهم أطال إزاره أو ثوبه أو بنطاله حتى وصل للأرض لسخر منه الناس وضحكوا واعتبروه شخصاً ساذجاً.
وكما يقول بعض العلماء إن زال سبب التحريم زال التحريم.

حيث أن المُحرمات تنقسم لقسمين من حيث سبب تحريمها :

وهو ما تم تحريمه لذاته كالخمر والزنا.

وما تم تحريمه لغيره كأن يشرب أحدهم كوب مركّز من النسكافيه كي يسهر لتزوير أوراقٍ أو شيكاتٍ مثلاً، ففي هذه الحالة تكون القهوة حرام لأنها كانت سبيل لتحقيق مُحرّم، رغم أن أصل حكمها هو الإباحة !

وإطالة الإزار يتضح أنهُ من الصنف الثاني
فإن كان اليوم في عُرف المجتمع أن إطالة الإزار تدعو للسخرية لا للتعظيم والمهابة المُستَكبرة فقد زالت العلة التي بسببها تم التحريم.

قاطع الشاب الشيخ وقال : هذا يعني لو أننا ذهبنا لمجتمع وهذا المجتمع يرى لبس طاقية الرأس

(الكوفية) عادة خاصة فقط بالمتكبرين فيُحرّم علينا حينها أن نلبسها في هذا المجتمع كي لا نكون عدداً إضافياً في طابور التكبر أليس كذلك ؟
- أحسنت واضح أنك فهمت، وهذا ما يُسمى بفقه مقاصد الشريعة.

- وفي هذا الصدد يا شيخ أريد أن أربط فقه مقاصد الشريعة بحديث آخر وهو

(لعن الله النامصة والمتنمصة)

والمتنمصة هي التي تزيل شعر حاجبيها كله والنامصة هي التي تزيل الشعر للمتنمصة

ونحن نسمع اليوم قلق كثير من النساء حول موضوع قص أو نتف شيء من الحواجب وتخاف أن تدخل في لعنة الله، كما أنها تكون قد سمعت تحذير العديد من المشائخ الذين يحذرون المرأة من الوقوع في هذا الشيء ولا يذكرون أن الحديث إنما نزل ك تنويه لعدم التشبه بالنساء اللواتي يشتغلن في الدعارة فقديماً كما تعلم وتحديداً في ذاك المجتمع الذي ولد فيه الرسول كان هناك علامات للمرأة التي تشتغل في الدعارة منها أن تحلق كل شعر حاجبيها كي يعرفها من يريد الإتيان إليها وبحيث تكسب المزيد من الزبائن.

فأتى النبي ليُحرّم أي تشبه بهذه الطبقة وبأفراد هذا العمل السيء فنهى المؤمنات عن فعل هذا الشيء القبيح المُلفِت للأنظار بينما اليوم المسألة لم تعد مرتبطة بشُغل دعارة أو بغيره بل صارت مسألة مرتبطة ومرتبطة فقط بالجمال.

يتحدث الشاب والشيخ يسمعهُ بإنصات حتى إذا أكمل أراد الشيخ أن يتكلم ولكنهُ فاجأ الشيخ بقولهِ : سلمت يا شيخ، لا أتذكر أني قد أتيتك مرةً وأنا حائر ورجعت بنفس الحالة، دائماً ما أعود وقد تبدل الشك بيقين.
تحتاج شيء يا شيخ ؟

فرد الشيخ عدنان : سلمت على هذا الكلامِ اللطيف.

ونهضا وقامَ كُلٌ إلى سبيلِه.

مع فارس

- تفضل يا فارس الدور لكَ الآن.

متبسماً قال فارس : لا أكذب عليك إن قلت أني متحمس بشكل لا يتصور لنقاشنا.

- بماذا تريد أن نبدأ ؟

- بما تراه مناسباً شيخ عدنان.

- حسناً سنبدأ مع مقولة ماركس التي قلتها في اللقاء الأول لنا

" الدين أفيون الشعوب "

سأل الشيخ فارس هنا قائلاً : لدينا سؤال سريع هل ماركس قصد بالدين هنا دين دولته ما يسمى ب " المسيحية " فقط أم جميع الأديان ؟

- يبدو أنه يقصد جميع الأديان

- جميل، اسمح لي بأن أجيب على كل الاحتمالات إن كان يقصد دين بلده أم جميع الديانات، ولنبدأ بافتراض أنه كان يقصد ب الدين دين بلده ما يسمى ب المسيحية ثم ما يليها من ديانات هي الأشهر.

وأنوه أني هنا الآن لستُ بصدد الدفاع عن أي دين سوى دين الإسلام ولنبدأ بدين بلدة ماركس أي أننا سنبدأ بما يسمى بالمسيحية مبدئياً أستطيع أن أقول عنه بأنهُ دين الجمال الغير واقعي.

- يعني ؟

- أي أنهُ لديه مبادئ جميلة ولكنها غير قابلة للتطبيق على هذه الارض التي نعيش عليها ومع هؤلاء الناس اللذين نعيش معهم فهو مثلاً ينادي ب

" من صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر"

ومن نازعني في ردائي تركتُهُ له حتى ولو كان حقي وكان هو المغتصب

هذهِ الطُرق غير قابلة للنجاح في عالم البشر اليوم.

هذه المبادئ كونها غير واقعية تقوم بإقناع متبنيها بالسماح للظالم بأن يفعل ما يفعل بل ودوري هو أن أحب هذا المُخطئ !

لا أقول أن دينهم اليوم خالي من توجيهات أخلاقية جيدة ولكني لست هنا بصدد الحديث عن هذا الدين بشكل عام وإنما لأرى هل دين ما يسمى بالمسيحية يصلُح لأن يكون أفيون " مُخدِر للشعوب " في وجوه الظالمين أم لا

ويبدو لنا الآن أن هذا الدين يصلُح بامتياز لأن يكون أفيون في كثيرٍ من الأحيان للشعوب المعتنقة له.

وسآتي الآن لما يسمى بالدين اليهودي وهذا الدين هو من آخر الأديان التي يناسبها أن يُطلق عليها أنها أفيون للشعوب لأن فيه من التشريعات القاسية ما نالت حتى من المُخطِئ الغير قاصد خطأه أي حتى من ارتكب الخطأ دون عمد.

هو دين قانوني حقوقي بامتياز لا يعرف المسامحة ولا التنازل ويعرف هذا من قرأ أسفار العهد القديم والجمارا والمشناة، أو حتى من لديه خلفية كبيرة عنهم، كما أن هذا الدين لا يُمكن أن يوصف بالصوفية البتة، وإن كان أحدكم يخالفني في هذا الكلام فليُدلي بما لديه.

أجاب فارس : حسنا ولكن ماذا ستقول في دين الإسلام الذي يتبني رأي

(لا خروج على الحاكم وإن جلد ظهرك وسرق مالك)

أجاب الشيخ عدنان : أقول أن الإسلام لا يتبنى هذا الرأي،

هذا غير منطقي نحن نرى الواقع

قبل أن أبدأ بالرد عليك أود ان أنوهك على أن الدين هو النص وليس كلام الشيوخ والعلماء مثلاً القرآن نص وبالتالي هو دين

أما فتوى أو رأي شيخ أو عالم في مسألة فهذا ليس دين.

قبل أن أذكر الأثر الآتي عن عمر بن الخطاب أود أن أقول لكم من باب الأمانة العلمية أن الأثر فيه ضعف ولكن توجد آثار أخرى مروية أصح من هذا الأثر قريبة جداً من معناه، عموماً دعوني أحكي لكم هذا الاثر وهو

عبارة عن مقالة لعمر بن الخطاب يخاطب فيها المسلمين من على المنبر قائلاً فيها :

" ما تفعلون إن اعوججت ؟ "

فيقوم أحدهم فيقول والله لنقومك بالسيف

فيرد العملاق : لا خير فيكم إن لم تفعلوها

يقشعر بدني الآن وأنا أحدثكم بهذا، نعم عُمَر لن يتكرر ولكنه سيبقى الأنموذج الذي ينبغي أن يتنافس عليه الحكام للوصول إليه.

هو الأنموذج الذي ستبقى الأمة تقارن حكامها به ومن وجدوه سلك مسلك عمر وطريقه رضوا به والعكس يصح.

طبعاً لا أقول أن عمر معصوم أو أنهُ ليس لديه أخطاء وإنما أقول أنهُ أكثر شخصية إسلامية جسّدت عدل الحاكم الذي تطمح لهُ الشعوب.

يعلق فارس : لا نستطيع أن نحيا على ذكرى رجل واحد ونسمح لذكراه بأن تُخدرنا.

فيأتيه الرد على تعليقه : صبراً عليّ فلازال في جُعبتي ذكريات لذلك سأواصل سردها.

- يأتي معاوية بن أبي سفيان في حُكمه ليقول : ما تفعلون إن اعوججت ؟

فيقول أحدهم والله لأقومك بالعصا

انتبهوا هنا للفجوة كان في عهد عمر التقويم بالسيف وفي عهد معاوية صارَ السيفُ عصا وكانت هذهِ علامات أن المستقبل السياسي المرتبط بالعدل والطغيان في انحدار.

ثم يأتي عبد الملك بن مروان في حكمهِ أيضاً بعد معاوية بخمسة حكام ليقول :

"والله لا يقول لي أحدكم اتقِ الله إلا قطعتُ عنقه"

ومن جديد لاحظ تسلسُل الطغيان وضياع العدل وظُلم الشعوب وجبنها أيضاً.

الآن تكونون قد علمتم أن مسألة ظلم الحكام للشعوب هي مسألة قديمة لا جديدة وموجودة في كل الحضارات بما فيها الحضارات التي ادّعت تبعيتها لدين النبي محمد .

مبتسماً حيراناً قال فارس : شيخ عدنان أجئتنا لتنتقد دينك

أم لتدافع عنه ؟!

بثقةٍ أجاب الشيخ : جئت لأكشف الأوراق على الطاولة ولأضع ما لدي ثم ليقتنع كل فرد بما رأى أن من المنصف أن يقتنع به ويتبناه، لم أحضر هنا لأكتُم حقائق ولا لتزيين مسأوئ أو لتزييف حقائق.

أريد الآن أن أقول لكم أن الإسلام لهُ جوانب عديدة كونهُ اهتم بوضع خطوط عريضة في كافة مجالات الحياة ثم ترك التفاصيل لنا شرط أن نلتزم فيها بما أباحهُ لنا الدين. هذا هو دين الإسلام ثم لدينا المطبقين لدين

الإسلام وكون الإسلام تناول كافة المجالات إذاً فسيكون لنا مُطبقين لهذه المجالات هُم بمثابة السلطة التنفيذية ينفذون تشريعات السلطة التشريعية سواءً كانوا أفراداً أو حكام والسلطة التشريعية يمثلها (الله) إن صح التعبير.

وبحسب هذا التقسيم سيكون الله هو صاحب السلطة القضائية في الآخرة وولاة الأمر والحكام هم أصحاب السلطة القضائية في الدنيا.

النصوص الواردة من السلطة التشريعية (الله) لن تستطيعوا أن تُثبتوا أنها السبب في وجود كل هذا الظلم.

وفي المقابل ستستطيعون أن تثبتوا أن من أسميتهم بالسلطة التنفيذية وهُم مُعتنقي دين الإسلام لديهم أخطاء وأن طوائف منهم ساهموا بقوة في إيجاد كل هذا الفساد والظلم ثم توريثه.

سأتكلم الآن عن الممثلين التنفيذيين لمجال الإسلام في الجانبين المعرفي و الثقافي وتاريخ المُنفذين في هذا المجال مشرّف جداً جداً لا أظن أنه يوجد داعي لأن أذكر إنجازات أبو حامد الغزالي وابن خلدون و ابن سينا والرازي وابن الهيثم والبيروني وابن حيان وغيرهم الكثير لأن هذا ليس موضوعنا الرئيس ولكن من أراد منكم التوسع في هذا الباب فيستطيع البحث بنفسه ولا أظن أحداً منكم ليس لديه ملامح رئيسة عن إشراق المنفذين في هذا المجال، وأنبهكم إلى أني لم أذكر أسماء الرواد في المجال الديني لأن هؤلاء لن تكفيهم عشرات الصحائف، وإنما اكتفيت بذكر القليل من أسماء بعض من كان لهم تأثير معرفي عالمي خارج إطار الدين.

ولدينا مُنَفذين لمجال الإسلام السياسي وتاريخ المنفذين في هذا المجال كان أسوداً

طبعاً توجد تواريخ سياسية لمنفذي ديانات أخرى لديهم لطخات أشد سواداً من لطخاتنا.

ولكن ما أريد قوله هو أن الحاكم لا يمثل الله

ولا يمثل الإسلام.

عندما يقتل فهذا لا يعني أن الإسلام قتل

عندما يظلم فهذا لا يعني أن الله ظلم

ولكن تستطيعون القول أنهُ عندما يُفسد أحد أفراد السلطة التنفيذية لهذا المجال في الإسلام أنهُ بصفتيه الشخصية والوظيفية قد أفسد، ونحن كما نعلم أن السلطة التنفيذية ليست بمعصومة ولا بكاملة فالعِصمة هي للسلطة التشريعية في شريعة الإسلام والكمال هو لصاحب السلطة القضائية في الآخرة.

حيث أن كافة أنواع الشرور يمكن أن تنبُع من العديد من الممثلين التنفيذين للإسلام، علماً أن هذا نذير وجود خلل في الوضع الديني لديهم يحتاج لتقصي لأسبابه ثم لأساليب علاجه، وكما أخبرتكم فكل مسلم هو أحد أفراد هذه السلطة فإن كان فرداً بسيطاً فقد احتل مركزاً صغيراً في هذه السلطة وكل ما كبر منصبه كبُر مركزه في هذه السلطة ولعل أبرز من يمثلون النخبة هم العلماء الربانيين والحُكام وحاشيتهم، ولا أقصد

بوصفي إياهم بالنخبة أنهم أفضل فئات المجتمع المسلم وإنما قصدت أنهم هُم من يُفترض أن يكونوا أفضل طبقة من طبقات المجتمع المسلم نظراً لحجم مسؤولياتهم، ولكن شتان بين الواقع وبين ما يُفترَض أن يكون الواقع.

الآن تفهمون من هذا أن أي مسلم إن ذهب وقتل يكون حينها من اللاعدل أن نقول ان الإسلام فاسد لأن لديه قتلة ومجرمون لأن كل دين لديه معتنقين يقومون بعمليات قتل وإجرام حتى اللادينيين يوجد منهم قتلة ومجرمون.

لو تبنينا هذا الرأي لأقصينا الجميع ووصلنا لعبثية وتيه

والحقيقة لا تؤدي بك إلى عبثية.

الحاكم المسلم هو مثله مثل ذاك المسلم العادي إنما امتاز عليه بتوفر منصب وفر لهُ سطوة وسلطة فصارت إمكانية طغيانه أو إحسانه أكبر من المسلم العادي، فخيره سيمتد للكثير وشرُه أيضاً سيمتد للكثير أي أن القضية هي قضية حجم السطوة التي لديه والتي من خلالها كان شرُه مستطيراً أو خيرُه واسعاً.

بعد إنصات طويل سأل فأرس : ولكن من الذي سمح لهم بالصعود والتسلق على رقاب الشعب أليس الإسلام؟

- ليس الإسلام بل الشعبُ والأقدار كلاهما ساهم بشكل لا يستهان به في صعود هذا المجرم واستمراره.

يرُد فارس مُنفعلاً : اليوم الشيوخ ينادون بحرمة الخروج على الحاكم وإن ظهر يزني على التلفاز ويشرب الخمر يومياً لمدة نصف ساعة، هل بعد كل هذا لا زلت تقول بأن الإسلام بريء ؟!

ليرُد الشيخ حينها بكل رزانة : جئنا الآن لمن يُسمون علماء جئنا لأول من يمكن أن يكونوا أول من تُسعّر بهم النار، جئنا لعلماء السلاطين عبيد الجاه والدرهم وما أكثرهم قديماً وحديثاً هم أيضاً ليسوا ظاهرة جديدة وإنما بسبب وسائل التواصل اليوم انتشرت أفعالهم الدنيئة أكثر وأكثر فظهرَ بأنهم زادوا، ودعوني أذكركم بأن اليوم يوجد من العلماء ورجال الحق المسجونين في الزنازين المُظلمة ما يربو تعدادهم عن مئات الآلاف هذا إن لم يكونوا أكثر ، أي أن عددهم أكثر من عدد جميع الأنبياء الذين جاءوا للبشرية مُنذُ الخليقة وحتى اليوم.

ولا تغفل عن شرحي السابق عن أنهُ يجب أن نميز بين الإسلام وبين ممثليه.

عندي سؤال هل تدعونا الآن للخروج لثورات في الشوراع؟ هكذا قال فارس

- لا أدري كيف انتقلت من ذاك الموضوع إلى هذا، ليست مسألتي الآن كيفية التخلص من هؤلاء الطغاة، وإنما هل من سمح لهؤلاء الطغاة للوصول لسدة الحكم وأن يعيشوا على استبداد الشعب الظالم المظلوم هو الإسلام ؟

بعصبية قال إياد صديق فارس : الظالم ؟!! ماذا تقول يا شيخ ؟!! بعد كل ما يحدث لهذا الشعب المسكين أيكونُ ظالماً أيضاً ؟

- مادام أنهُ كانَ مساهماً بشكلٍ أو بآخر في صعود هذا الطاغية فهو ظالم لنفسه أيضاً بقدر ما هو مظلوم حتى ولو تعذر بجهله وعدم معرفته أن هذا الحاكم هل سيقودهم في المستقبل الى الخير أم الى البوار ؟

هذا بجانب أنهم لم يجتهدوا حتى اليوم ولم يُكلِفوا أنفسهم بإنشاء وابتكار أو استقطاب آلية تضع حداً لكل فاسد صعد للسلطة، بل إن الغرب اليوم اجتهدوا أكثر من المسلمين في ابتكار هذه الآلية فحالُهم مع الحكام أفضل من حالنا مع الحُكام

هكذا رد الشيخ عدنان.

ثم واصل إياد كلامه : أنت تتكلم فقط عن عهد الديموقراطية التي لم تصل اليوم حتى لكثير من الدول التي تدّعي أنها وصلت لها وأنها تتبناها ولكن ماذا ستقول في الحقبة الأطول التي لم تكن فيها الشعوب تختار حكامها ؟

يجيب الشيخ : سأقول أنهم كانوا يستطيعون إزالتهم إن تمسكوا حقاً بوصايا الله التي من أهمها :

{ فَلا تَخشَوهُم وَاخشَونِي }

{ فَلا تَخافوهُم وَخافونِ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ}

انتصر المسلمون في غزوةٍ رآهم العدو فيها أنهم القلة القليلة.

﴿وَلَقَد نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدرٍ وَأَنتُم أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تَشكُرونَ﴾

وهُزموا يوم أن أعجبتهم كثرتهم

﴿لَقَد نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَواطِنَ كَثيرَةٍ وَيَومَ حُنَينٍ إِذ أَعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئًا وَضاقَت عَلَيكُمُ الأَرضُ بِما رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرينَ﴾

فلا تعتمدوا على الوسائل إن عجزتم عن إيجادها وإنما اعتمدوا على وصية الله

{ وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ }

الله يكفي الأمة المؤمنة ويكفي الشعب المؤمن، ولكن إن جاهد وقاتل الفساد لأجل تنفيذ أوامر الله لا لأجل شهواته، كي تتحسن مادياته ، فيشتري سيارة ويُحسن من أثاث بيته وحياة أسرته، هذهِ كلها أشياء جميلة نعم ولكن دعها هي من تدعمك إن كنت ستقاتل لأجلها، فالله يدعم من يقاتل لأجله لا لأجل مشتهياته ورخاءه.

من يقاتلون لأجل الله سيخرجون على الحاكم الفاسد سواءً كان وضع الدولة الإقتصادي مُزري أم في قمة انتعاشه.

نحن اليوم لا نكاد نسمع خروجاً للناس إلا لأجل سِلع غلت أو معيشة صارت أصعب أو لأجل فئة عمال تم فصلها من العمل، وهكذا صارت مُحدثات الدُنيا هي من تُخرِجنا، لهذا السبب لا ترى اليوم أي معارضة في العديد من الدول العربية الفاسدة قياداتها !

ليس لسببٍ سوى أن القيادة مهتمة بقوة بالجانب الاقتصادي للدولة وبجانب رفاهية المواطنين، وهكذا صرنا نحتاج لإيمان غير إيمان اليوم الركيك الغير منظمة أولوياته المُتعلّق بالدنيا وكأنها كل شيء.

ملامح إياد تتغير فيقول : قسماً يا شيخ أني أشعر الآن بروحانية مع كمية وعي إيماني غير طبيعية، آهٍ لو تعلم كم حُرمتُ منها، رغم أنك تحدثني بالعقل لا بالمشاعر والعواطف.

الآيات التي تليتها في البداية أشعُر وكأني أسمعها لأولِ مرةٍ في حياتي !

بالطبع قد سمعتها من قبل ولكنها كانت تمُرُ عليّ مرورَ الكرام، أشعرُ الآن بقشعريرةٍ لذيذة.

يبتسم الشيخ ويقول لإياد : فتوحات الله يفتحها على من يشاء من عبادهِ يا إياد ولعل الله يفتح عليك فتوحاً في الفهم والإيمان لم يفتحها على من هو أكثر صلاةً منك فهذا رزق الله ليس شرطاً أن يرتبط بكمية أداءك لشعائر الله ولكن إن علم من عمق رغبتك واجتهادك في معرفته ومحبته وعبادته ما يجعلك تستحق هذا الفتح وعلى المرء أن يكون أهلاً لها وألا يكونَ كالذي قال الحكيم عنه

﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ (175) وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أو تَترُكهُ يَلهَث ذلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقصُصِ القَصَص لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾

يعود فارس للنقاش فيقول : شيخ لماذا لا تُعلِن صراحة أنهُ لا يحق للشعوب بل يجب عليها الخروج على الحكام

لا يوجد ناموس بيننا (جاسوس) لا تقلق جميعنا ثوريين يساريين.

يقاطع إياد ليقول : انا ثوري ولكني لستُ يساري.

يجيب الشيخ : فارس المسألة ليست مسألة خوف وإنما مسألة ضمير وأمانة وللأمانة ضميري لن يكون مرتاحاً إن قلت هذا الكلام، لأن كل دولة لها وضع يناسبها، كل حاكم دولة لهُ شخصية مستقلة وبالتالي فله طريقة مناسبه توقفه عن ظلمه فالقرار الواحد الآن سيكون جائراً لأنه سينجح مع شعوب ويزيد من نكالِ أُخرى، سيوقف حكام وسيزيد من تعسُّف آخرين.

يتكلم هذه المرة عمار صديقهم الثالث الصامت ويوجه كلامه لفارس قائلاً : كلام الشيخ صحيح فلنرى ثورات 2011 كيف كانت ربيعاً على تونس وخريفاً على سوريا وغيرها أليس كذلك يا شيخ ؟

يجيب الشيخ : لن أقول أني شخص ليس لهُ دخل بالسياسة، بل أنا على صلة وطيدة بها واهتمام كبير بشأنها ولكن لن أدلي اليوم ببعض آرائي السياسية سيأتي اليوم المناسب لأُدلي بها مع أني بين حين وآخر أدلي ببعضها على حساباتي في بعض مواقع التواصل الاجتماعية.

وأرى أن المهم أني أريتكم اليوم أن الإسلام ليس سبباً في صعود الطغاة وإنما عوامل وضعها الله كقوانين ونواميس كونية إن مشت عليها الأمة في كيفية اختيارها لحكامها ثم في تقدير وتحديد السلطة التي سيعطونها لهذا الحاكم، بل ويمتد الأمر ليصل لمسألة كيف تكون الرقابة على هؤلاء

الحكام ؟ وكيفية إزالتهم عند إفسادهم قبل أن يتحولوا لديكتاتوريين ملتصقين بالكرسي.

من مشى خلف هذه السنن والقوانين الدنيوية أفلح ولو لم يكن من أمة الإسلام ومن خالفها شقي وإن كان ينتمي لدين الإسلام، لأن دين الإسلام ليس أسطورة إن آمنت بها قامت بالتدخل بطرق سحرية لإخراج الأمة من النكبة التي هي فيها، ولكن مع الأسف هذا هو تصور الكثير من المسلمين اليوم لدينهم وهذه إحدى صور ودلائل عدم فهمهم لحقيقة دينهم وعدم استيعابهم لقوانين الكون التي أقرها ربهم وأن عهد المعجزات قد انتهى.

هذا الحديث المطوّل كان بشأن الظُلم السياسي وبشأن لماذا هم متفوقون علينا سياسياً

أما بشأن لماذا هم متطورون عنا اخلاقياً فهذا ادعاءٌ جائر لا أصلَ له إلا عدم إدراك واقع المجتمع الغربي.

بثقة يقسم فارس بأنهم أكثر التزاماً بالأخلاقِ منا.

وبثقة يرد عليه الشيخ : إذاً كلمني عن نسبة السُكر والعربدة الجنسية التي يعيشونها أم أن هذه هي أحد مظاهر التطور لديهم ؟ ألم تقرأ رواية لا تخبروا ماما وجزأها الثاني تركوا بابا يعود ؟ التي تحكي قصة الفتاة التي حملت من أبوها ؟ لأن أبوها كان يغتصبها ! هذه ليست قصة نادرة الحدوث لديهم هي ظاهرة تتفاقم لديهم !

- نحن أيضاً تحدث لدينا مثل هذه الحوادث لماذا نتعامى عنها ونتهم الغرب وكأنهم الوحيدين الذين لديهم هذه المفاسد ؟

يرد الشيخ : نعم تحدث في كل مجتمع وعند أتباع كل دين إنما القضية كم تحدث هنا وكم تحدث هناك ؟ كم نسبة انتشارها لدينا مقارنةً بنسبة انتشارها عندهم ؟

سأخبرك بشيء

المسلمون يشعرون عندما يمارسون الفاحشة أو يتعاطون الخمور أو يقومون بالسرقة بأنهم أقل أخلاق من المجتمع الغربي، لا لأنهم فعلاً أقل أخلاق بل لأن مكانة دينهم في نفوسهم أكبر من مكانة دين أولئك في نفوسهم، بل إن أولئك قاموا يشرعنون لهم باسم دينهم الكثير من هذه المظاهر مثل الزنا وشرب الخمور والمسكرات، بل وبأن دينهم يسمح بها ولا يرى بها سوءًا، بينما لدينا يمارسها الفرد مع تأنيب ضمير لا بأس به فيشعُر بكمية ندم وحُرقة بداخله.

ثم إني لا أنصح أي شخص بأن يتكلم عن أخلاق الغرب الفاضلة إن لم يعاشرهم ويحيا بينهم كي تأتيه الفرصة ليرى كمية انحطاطهم الأخلاقي و عدد العنصريين بينهم ويرى أجناس السوء الأُخرى.

أنتم تحكون عنهم بأنهم أكثر أخلاقاً لأنكم أناس عاطفيين ترون رأفة جماعة منهم بالحيوانات ورحمتهم بها ومعاملتها إياها معاملة الإنسان فتصفونهم بالأخلاق بينما لدينا من رأيتموه يهتم بالحيوانات كإياد سخرتم منه حتى اللاشبع

هم عندما يلتزمون بالقانون تصفونهم بالأخلاق بينما من يلتزم بالقانون لدينا تصفونه ب (الأحمق المسكين)

هم عندما يضعون المخلفات في مكانها فإنكم تصفونهم بالرُقي والتحضُر بينما في بلدنا من يحرص على رمي المخلفات في مكانها المخصص بعد أن تضحكوا عليه يقوم أحدكم عناداً له بتقطيع أكياس الأكل التي لديه لقصاصات صغيرة ثم نثرها في الهواء أمام عينيه هذا غير أنكم قد تخطفون منه أكياس الأكل التي احتفظ بها حتى يجد مكاناً مخصصاً لرميها فيه فتأخذونها منه لترموها أمامه في الشارع ثم تتعالى الضحكات حينئذ، وبهذه الطريقة تقوم حرب شعواء لتدمير هذا النادر في بلدنا لجعله يتنازل عن مبدئه في النظافة.

تقوم على هذا الفرد حرب من قِبَل أصدقائه هذه الحرب لم تكن لتقوم لو أن صديقهم كان يتلفظ بأقذر أنواع السباب مثلاً ولكن لأنه يمارس فعلاً دنيئاً ألا وهو محاولة الاهتمام بنظافة الشارع فإنهُ يستحق هذه التهكمات الموجهة لهُ من الجميع تقريباً.

طبعاً لأن رمي القمامة في مكان لا يضُر بنظافة الشارع هو عمل خطير تتجاوز خطورته خطورة السب والفُحش والبذاءة والسفاهة.

ضحك إياد وقال فعلاً كل هذا يحصل لدينا وقد حصل لي منهُ الكثير وبعد كل هذا يسألون

" متى سنكون مثلهم ومتى ستكون شوارعنا نظيفة "

ربما عندما تبدأون بعدم رمي المخلفات في الشارع

- كي تتحول حينها من أمنية لبداية حقيقة.

يقاطع فارس إياداً موجهاً سؤالهُ للشيخ :

وماذا تقول بشأن تطورهم الثقافي ؟

يجيب الشيخ عدنان : أعترف بأنهم متطورين عنا ثقافياً ولن أذكر هنا سوى سبب واحد ساهم بقوة في تأخر الثقافة لدينا ألا وهي ظروفنا المادية المأساوية التي تجعل العامة ينكبون على البحث عن قوتِ يومهم.

يسأل إياد : وماذا عن تطورهم التكنولوجي ؟

يجيب الشيخ : هم أيضاً متطورون عنا في هذا المجال بمساحات شبه فلكية لأنهم اتبعوا القوانين الكونية التي تكلمنا عنها في حديثنا عن التدهور السياسي فتفوقوا واستحقوا ما وصلوا إليه ونحن استحققنا ما مكثنا عليه.

أيها الشباب إنما هي أسباب لم نطبق منها ما نستطيع حتى يساعدنا ربنا، وبينما هم اكتفوا فقط باتباع السنن الكونية فبرعوا في هذا وذاك ولعل المسلمين كانوا سيكونون في تردي أكبر وأكبر لولا هذا الدين الذي يبدو أنه خفف عليهم الكثير من الشدائد التي كانت ستؤول مآلاتٍ أسوأ مما آلت إليه، والذي يبدو أنهُ خفف من آلام سقطاتٍ كانت آثارها ستكون أوجع لولاه.

إن الملاحِظ يرى الغرب لم يمشوا في الطريق الصحيح في المجال الأخلاقي والمجال الاجتماعي والأسري، لذلك فهو يرى ضياعهم فيه وتفككهم وهشاشتهم التي لا يُصدقها من يرى تطورهم الصناعي .

وبهذا أكون قد انتهيت من طرح ما عندي حول ما طرحته في مسألة تدهورنا وتطورهم و لك كامل الحرية الآن في أن تقتنع أو لا تقتنع

- الصراحة يا شيخ لم أستطع بلع أن الإسلام لم يكن السبب فيما وصلنا إليه.

- هذا شأنك، إنما أنا صاحب فكرة، فإن دخلت عقول وقلوب من سمعوها كان خيراً وإن لم تدخُل فلا بأس.

ويختم الشيخ كلامه : عرفتُ اثنين منكم الآن وبقي اثنين لم تخبروني باسميهما :

فعرّف بهم إياد : هذا عمار الذي لم نسمع منهُ سوى مداخلة واحدة، وهذا زيد اللطيف الذي قرر أن يكونَ مستمعاً في هذهِ الجلسة.

تعارفوا أكثر ثم تكلم الشيخ فقال :

سُرِرتُ بالتعرف إليكم جميعاً وأطلب منكم الآن الإذن في الانصراف.

أجابه الجميع : نحن كذلك يا شيخ، شكراً لك على هذا اليوم الذي استطعنا النقاش فيه بشكل بعيد عن التعصب والجمود الفكري.

ودعهم الشيخ عدنان كما هي عادته عبر المصافحة المرافقة لابتسامةٍ بشوشة، وعندما جاء دورُ مصافحةِ إياد وجه كلامهُ للشيخِ فقال : لا أعلمُ كيف ولا لماذا ولكنك دخلت قلبي وأنِستُ بك يا شيخ عدنان حقاً أنا ممتن لك بالكثير على هذا اليوم.

ثم ضيق إياد حدقتي عينيه وابتسم بذكاء وقال :

ثم ما كل هذه الشياكة في اللبس ؟ لم نعتد من المشائخ أن يلبسوا بنطلوناً فضلاً عن كل هذه الشياكة.

بملامحٍ خجولة تبسّم الشيخ وقال : عيناكَ هما الرائعتين.

ثم رحل لدربه وبقي الأصدقاء ليُعلّقوا على الجلسة وعلى النقاش.

حارس المزرعة

- سأحكي لكم عن حارس المزرعة الموكَّل بالاهتمام بمزرعتي

طبعاً في مزرعتي هناك حقل زرع مُغطى سقفه بزجاج شفاف خوفاً من أن يأكله الجراد، وأخبرتُ المسؤول عن رعايتها بأن كل 12 ساعة وتحديداً في الساعة السادسة مساء و الساعة السادسة صباحاً هو موعد سقاية هذا النوع من الزرع وفي هذه الأوقات المحددة سينفتح فيها هذا الزجاج لمدة نصف ساعة بشكل أوتوماتيكي لكي يقوم الحارس بسقايتها، ولقد أخبرته أنه بعد انقضاء النصف ساعة سينغلق الزجاج تِلقائياً بمفرده حسب ما هو مُصمَّم.

واستمر الحارس مُلتزماً بمهامه، أمين ومخلص، ولكن بعد فترة حدث خلل في النظام المسؤول عن فتح وإقفال الزجاج في ساعاته المحددة مما أدى الى تغيير النظام بحيث أصبح الزجاج ينفتح في الساعة الثامنة صباحاً والساعة الثامنة مساءً بدلاً عن الساعة السادس صباحاً، ولكن الحارس كونه يرى نفسه شخصاً ملتزماً بكلام صاحب الشأن الذي هو أنا قال لنفسه أنه يجب عليه الالتزام بكلامي حرفياً ولا يجوز له تغيير جزئيات بسيطة من شأنها تحقيق نمو الزرع وازدهاره.

فاستمر يأتي الساعة السادسة صباحاً والسادسة مساءً ليسقي الزرع رغم أن الزجاج مغلق أي أنه يمنع من وصول الماء للزرع فيضيع الماء وفي

نفس الوقت لا يصل للزرع والعجيب أن الحارس استمر يشعُر بالفخر لأنه يرى نفسه يقوم بكامل واجبه الذي أُسنِدَ إليه !!

وفي إحدى المرات رآهُ أحدهم وقال له : فلان ماذا تفعل ؟ ءأنت معتوه ؟ ماذا تفعل ؟

فرد عليه الحارس : أنصحك بأن تحترم نفسك.

- ألا ترى بأنك تقوم بإهدار الماء ؟

- لا تتدخل يا جاهل مادمتَ لا تعرفُ شيئاً.

ورحل هذا الرجل رحيلاً تظاهرياً حيث أنه أتى فيما بعد واختبأ ليراقب حارس المزرعة غريب الأطوار، فرأى الرجل يأتي في الساعة السادسة ليأخذ خرطوم الماء من جوار الحقل المخصص لهذا الزرع ويقوم برش الزجاج ثم يغادر وهكذا، تساءل حينها هل الحارس لديهِ اختلال عقلي ؟ أهو مُصاب بالذُهان ؟ ولكن من هو الذي قد يأتمن مجنوناً على مزرعة كبيرة كهذه ؟!

وذات يوم مر من هناك في الساعة الثامنة فرأى الزجاج الخاص بالزرع ينفتح تلقائياً فتفاجأ وتوقع مجيء الحارس ليسقي الزرع ولكنّ انتظارهُ طال فالحارس لم يأتِ، وحينها اقترَب الرجل من الزرع ليندهِش حالما رأى منظر الزرع فقد وجدهُ على شفير الموت والهلاك جفافاً ! فعلمَ حينها أن الحارس لا يقوم بسقاية الزرع عند انفتاح الزجاج فزادَ تعجبه ! ما هذا الحارس الغريب يسقي الزرع حينما يكون الزجاجُ مغلقاً فلا يستفيد منه

النباتُ شيئاً وحينما ينفتح الزجاج وتُتاح فرصة استفادة النبات من الماء لا يأتي الحارس للسقاية !

ثم ذهب لعمله وهناك حكى لزملائه كل هذه الأعاجيب التي رآها والتي لا يعلم تفسيرها أو الأسباب التي أدت إليها.

فاقترح عليه أحد زملائه أن يذهب مستفسراً الرجل.

فرد عليه صديقنا بأنهُ لن يُقابل ذاك المجنون ثانيةً.

فعاتبه صاحبه كونهُ في المرة السابقة لم يأتِ إليه ليستفسره بأسلوب مناسب بل بفظاظة وغِلظ.

فاقتنع بالعودة لهُ من جديد حينما ينتهي من دوامه

وحينما انتهى دوامه وأخرج مفاتيحه ليفتح باب بيته تذكر أنهُ كان سيذهب لحارس المزرعة فرجع أدراجه وذهب لصاحب المزرعة، جاءهُ ووجدهُ منكباً على أحد أعماله وحالما رآهُ الحارس بزمجرةٍ قال له :

- هذه المرة لن اصبر عليك كالمرة السابقة بل سأقوم بطحنك، إن كنت قد أتيت بحثاً عن المشاكل فسأجعلك تجد مصيبتك هذه المرة.

- لا لا لم آتِ إلا لشيءٍ خير، جئتُ لأعتذرَ منك أولاً عن الطريقة التي تحدثتُ بها معك سابقاً ولكي أتحدث معك قليلاً إن كان لديك بعض الوقت.

- تتحدث معي ؟ عن ماذا ؟!

- عن سقاية ذلك الزرع الخاص

تنهد الحارس وقال : وماذا به ؟

فأجابه الرجل هل تعلم بأن الزجاج ينفتح في الساعة الثامنة ؟

- نعم أعلم

فتعجب وقال : إذاً لماذا لا تقوم بالسقاية في الساعة الثامنة ؟

- لأن صاحب المزرعة أمرني بأن اقوم بالسقاية في الساعة السادسة.

- لم أفهم ! هل صاحب المزرعة شخص بغير وعيه ؟!

- بدأ صبري ينفذ أنصحُكَ بالرحيل.

- حسناً سأرحل ولكن بعد أن تُخبرني بسر هذا الزجاج والزرع.

فحكى له الحارس حينها القصة سريعاً وبصبرٍ يوشِكُ على النفاذ

فعلق الرجُل فقال : هل تعني بأن الزجاج سابقاً كان ينفتح في الساعة السادسة ؟!

- نعم

فزاد تعجبه وقال ألا ترى بأن النظام قد تغير فيجب أن تواكبه وأن تأتي للسقاية في الثامنة كي تحقق الغاية التي من أجلها جعلك صاحب المزرعة خليفةً عليها.

فرد عليه الحارس بحسم : لن أُخالف الأوامر ولن أستبدِل التوجيهات.

- ولكنك لن تصل لنتيجة هكذا بل لو واصلت على هذا المنوال فستكون النتيجة عكسية وسلبية على النبات.

- هل تريد أن أتصرف على هواي وأن أعصي صاحب الشأن ؟

- لا، إنما أريد أن تفهم الحكمة من أوامره كي لا تعصيه وأنت تظن بأنكَ تطيعه.

- يبدو أنك ليس لك التزام بأي مبادئ أو عهود، أما أنا فقد قطعتُ عهداً على رب المزرعة بالحرص على كل ما قاله لذلك سأستمر على ما كنت، ثم من أنت حتى تدعوني لتغييرها ؟

- نعم إن أصبحت غير نافعة أو إن صارت مضرة.

- أيها الغبي الذي يريدني أن أُحرف كلام رب المزرعة لا تجعلني أراك بعد الآن لأني حقاً سوف أقوم بقتلك إن جئتني مرة أخرى.

- حسبنا الله ونعم الوكيل ، الوداع إذاً.

وغادر وهو لا يُصدق أن هناك بشر يفكرون بهذه الطريقة !

ماذا يفعل كي يُقنع هذا الشخص بأنه يمشي بالنبات نحو الإهلاك ؟

وبعد تفكير طويل لم يجد وسيلة لمحاولة إقناع الدوغمائي المتجمد المتحجر المتمسك بأفكاره، ولكنه فكر بأن من الحرام أن يموت النبات وقرر أنه سيقوم بسقايتها سراً ويكون في نفس الوقت يفعل خيراً حتى

يأتي صاحب المزرعة فيقابله ويكلمه بالوضع وفعلاً كان يأتي صباحَ مساء كل يوم في الساعة السادسة كي يقوم بعملِ السقاية.

وفي ذات صباح كان يقوم بالرش وبينما هو يُدندن أغنية يترنم بها جاء حارس المزرعة ورآه فتحولت ملامح وجه الحارس لموجات تدعو الشياطين للمزيد والمزيد من الاحتشاد لإغواءه لعلّهُ فعلاً ينفذ ما قاله ويقتل هذا الرجل.

بغضب لا حدود له قال : ما الذي تفعله ؟!

تأتأ الرجل : IIII

- ألم أخبرك بأني لن أراك هنا مجدداً ؟

- نعم ولكن ....

صرخ : ولكن ماذا يا عديم الخجل ؟ ألم يكفي ما قد فعلته حتى جئت الآن لتُفسد الزرع يا شيطان.

- ك ك كن كن كنت أسقي الزرع كي لا يهلك.

- سأريك ماهو الهلاك.

وانقض عليه .

إلى هنا تكون القصة قد انتهت يا طُلاب، هذا الحارس الآن مفصولٌ من عمله كما أنه انسجن بسبب ما أحدثه بذلك الرجل المسكين من كسور أودت به للمستشفى ليتلقى فيهِ العلاج.

بعد أن حدثت هذه القصة ربطتها بتفصيل مهم تحدثت فيه أنا وأحد الإخوة يوماً حينما جاء يسألني أحد الأسئلة التي أوصلتنا ل

(فقه مقاصد الشريعة في الإسلام)

هذه القصة لها إسقاطات إسلامية كثيرة قديماً وحديثاً في ديننا.

إن الله جعل لنا تشريعات أساسية لا يمكن تغييرها ولا تبديلها

وتشريعات أُخرى أعطانا خطوط عريضة فقط وترك لنا مساحةً فيها نتصرف فيها حسب ما يناسب زماننا ومكاننا دون أن تخالف الطرق والوسائل التي نختارها ونعتمدها التشريعات الأساسية التي لا تغيير والتي لا تبديل فيها.

وأعطى الله لنا في هذه التشريعات الأخرى مساحات لأنهُ يعلم سبحانه بأن كل جيل سيحتاج نمطاً مختلفاً ليعيش به فمثلاً من بين هذه الأشياء التي ترك لنا مساحات فيها : طريقة اختيار الحاكم مع وضع أساسيات ثابتة مثل ألا يكون هناك ظلم في الاختيار أو أن يكون الاختيار بطريقة لا يرضاها الله وغيرها من الأساسيات الثابتة التي لا تنازُلَ عنها.

عموماً لست هنا الآن كي أفرز لكم الأمور وأضع التشريعات الثابتة والأساسية في جدول و التشريعات الواسعة في جدول آخر.

إنما أنا الآن فقط أود تنبيهكم ولفت انتباهكم إلى أن هناك نوع آخر غير نوع التشريعات الإسلامية الأساسية الثابتة، وأحيانا في بعض التشريعات الواسعة التي يعطينا الله مساحة فيها يقدمها لنا مع أحد الوسائل التي

نستطيع استخدامها حيث يتيح لنا استخدامها أو تركها واستخدام بدائل أُخرى تُحقق الغاية المنشودة من وراء التشريع، لأنها في الأخير مثال أو أحد الاقتراحات المطروحة التي بها نستطيع تحقيق الحكمة من التشريع، وسأستدل بآية في سورة الأنفال كمثال ألا وهي قولهُ تعالى :

{ وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِباطِ الخَيلِ تُرهِبونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم }

الأمة الإسلامية اليوم ليست مُلزمة بأن يكون في جيشها خيول حسب نصيحة هذه الآية لأن الله إنما ذكر الخيول كإحدى الوسائل العسكرية القوية قديماً، ومن هنا نستنتج أن المُراد من هذا التشريع في هذهِ الآية هو السعي لامتلاك أقوى الوسائل العسكرية في معركة المواجهة مع ممثلي الباطل.

هذا بشأن التشريعات ولدينا أشياء أخرى لا تبديل ولا تغيير لها ولو مرت آلاف السنين مثل العقائد فالله واحد ولا شريك له ولم يلد ولم يولد وليس بحاجة لأحد وهو المُحيي والمميت والقادر على كل شيء والعالم المحيط بكل شيء، هذا لن يتغير أبد الزمان.

ومثل هذا ينطبق على الأخبار والسير مثل أن يقول الله أن مريم عليها السلام حملت دون تدخُل من بشر فيستحيل مع مرور الوقت أن يتغير الخبر فيصير أن السيدة مريم حملت بالسيد المسيح عيسى من بشري.

فانتبهوا لِئلّا تكونوا كحارس مزرعتنا تمارسون ما ترونه أوامر إلهية بفخر وأنتم بها تُهلِكون الحرث والنسل وتورطون الأمة بل وربما كفّرتم من يقول بغير رأيكم وفسّقتم من يعارضكم فيه.

تأمّلوا حكم الله في الحكمة من أوامره وتشريعاته وليس معنى هذا أنك لن تقوم بأي طاعة حتى تعرف الحكمة منها ولماذا الله فرضها وأمر بها، بل العبدُ ينفذُ أوامر سيده دون أن يشترط معرفة الأسباب، إنما المقصد هو أن تتأكد أنك تفعل ما أرادهُ اللهُ منكَ فعلاً في هذا الموقف وفي هذا الوقت.

ضجة !

واصلت آراء الشيخ انتشارها لا على المستوى المحلي فقط بل على المستوى العربي خصوصاً وأن لديه قناة على اليوتيوب، صحيح أن عدد مشتركيه لم يصل إلى المليون، ولكنه استطاع الحصول على مئات الآلاف من المشتركين حتى أن إجمالي عدد الساعات التم تمت مشاهدتها على قناته هي 95 مليون ساعة تمت مشاهدتها وهذا عدد لا يُستهان به، ومع هذا لا يقوم الشيخ بالتدريس حالياً بشكل خاص إلا لقلة قليلة جداً، حاول اختيارهم بعناية.

عموماً كان انتشار آراء الشيخ حول العديد من المسائل مثيراً لضجة في المجتمع العربي وخصوصاً من قِبل عدد كبير من شيوخ مشاهير في الوطن العربي.

لقد تمت زندقته من أحدهم، وآخر لمّح بأنه قد ارتد وصار كافراً حيث أن أفكاره ومعتقداته توجِب خروج الشخص من الملة وثالثُ قال أنهُ فاسق مُتبع للهوى.

والرابع يسأل قائلاً : من شيخه ؟ فيجيبُ على نفسه : لا شيخ لهذا الجاهل أم أن شيخه كتابه فمن كان شيخه كتابه كان خطأه أكثر من صوابه.

ظهر الشيخ علي المروني ليُجيب عن رأيه في الشيخ عدنان عندما سُئلَ عنه فقال :

"متشيعٌ يخفي تشيعه و لهُ أسلوب بارع في غواية الشباب"

و قال فيه الشيخ فهد العلواني

" لا أقولُ عنه شيطان ولا قديس ولكن يجب أن أعترف بأن معهُ حصيلة معرفية وعلمية مُرعبة "

وقال عنهُ محايد وهو الدكتور أيمن الجبري

" لن أقول عنهُ سوى شيء واحد هو أن من يسبونه على الفضائيات ليل نهار لو تناظروا معه فلن يستطيعوا الصمود أمامه ساعةً واحدة "

طلب طلاب الشيخ عدنان منه أن يرُد على المُتهِمين والمنتقدين له ولكنه اختار الصمتَ جواباً.

وإثر تلك الضجة واجهت الشيخ أزمة حيث طلب منه رواد المسجد الذي هو فيه بألا يقيم دروسه لطلابه فيه وألا يخطب فيهم الجمعة بعد هذا اليوم.

فاجأنا قبول الشيخ لهذا الطلب باتساع صدر وبتجاوب سريع.

وفي أول جمعة لم يخطب فيها الشيخ حضر فيها للمسجد لاستماع الخطيب الجديد أي أنهُ حضر كمصلي لا كخطيب، وقد بدأ خبر استبعاد الشيخ عدنان من الخطابة ينتشر كإشاعة بين ما يربو على ألف من المُريدين له الذين يلتزمون حضور خطبة الجُمعة الخاصة به ولكَ أن تتخيل أن بعض من يحضرون خطبته يسافرون مساء يوم الخميس من المحافظة التي يقطنون ليحظوا بخطبة الشيخ يوم الجمعة ! أعلمُ أنك قد

تكونُ متعجباً الآن ولكن صدقني حضورك لخطبة واحدة للشيخ عدنان ستكونُ كفيلة بإزالةِ تعجُبِك.

دعني أخبرك الآن بما حدث في أولِ جمعةٍ حضرها الشيخ دون أن يخطب فيها.

صعد الخطيب الجديد على المنبر، ألقى السلام، أذّن المؤذن ،استاء الجمهور، انتهى الأذان،تُثار ضجة، المزيد من الاستياء، صراخ، أصوات تختلط،الفوضى تُعُم، التحدي يتصاعد بأنهُ لن يخطب غير فضيلة الشيخ عدنان وتستمر الغوغاء نسمع حينها صوت حاسم يقول :

سألتُكم بالله أن تجلسوا وتهدأوا، فمن لم يُرد المكوث فلينهض بسلامٍ، مارّاً مرورَ الكرام.

لم يصدق الحضور من كانَ قائل هذا الكلام حتى التفتوا ليروا صاحب مصدر الكلام، وتوقعك صحيح نعم لقد كانَ الشيخ عدنان، هل تبتسم بداخلك الآن ؟ إني أبتسم الآن مثلك أثناء نقلي هذه الحادثة لك.

سأعودُ لنقلِ الحادثة.

صرخة رجاء يقول صاحبها : ولكن يا شيخ ...

فيردد الشيخ : سألتكم بالله.

فيهدأ الوسط من مهابةِ ما حصل.

أحياناً أتساءل كيف سيكون بلدي لو كانَ يمتلكُ ألفاً كالشيخِ عدنان ؟!

يقوم جَمع لا بأسَ بكثرته للخروج من المسجد، لم يكن بينهم الشيخ عدنان فقد مكث مع الماكثين ليجلس لآخر مرة في هذا المسجد لأنهُ ما إن جاء عصر تلك الجمعة حتى أتته دعوة للخطابة من رواد مساجد أُخرى، صلى استخارة ثم قبِل دعوة أحدها ومن يومها وهو يخطب في ذاك المسجد الذي ما عادت مساحته تكفي لعدد المصلين في كل جمعة لذلك اضطروا لتوسيعه، ولكن بعد فترة جاءته رسالة من وزارة الأوقاف فحواها أنهُ تم إيقافه من الخطابة في أي مسجد، فاعتزل الشيخ المنبر من يومها ولكنه لم يتوقف عن إنزال دروسه عبر قناته على اليوتيوب، أما بالنسبة لطلابه فمن شدة تعلقهم به قدّم أحد طلاب الشيخ وهو يحيى عرضاً فقال : لو تكرمت يا شيخ فأنا أطلب منك مواصلة دروسك لنا نحن طلابك الخواص في منزلي .

وبعد أن فكر الشيخ وسأل طلابهُ عن رأيهم وافقوا بحماس، ومن وقتها صار بيت يحيى هو ملقاهم ومَجمَعهم، وللبيت ميزاته طبعاً حيث أنهُم كانوا يحتسون بشكل شبه يومي القهوة اللذيذة التي كان يُبدِع يحيى شخصياً في تحضيرها.

الله ما أجمل وضعهم، دروس الشيخ عدنان مع احتساء كوب من القهوة، يضحكون، يدردشون، يتعلمون ويتمتعون.

" كغرباءٍ اجتمعوا على نارٍ وجدوها بعد تيه في الظلام "

فما أشد تمسكهم بها ومن أين تجد اليوم تجمع كتجمعهم ؟ وجماعة كجماعتهم ؟

ولكني أظن أنهم لن يعرفوا القيمة الكاملة لِما هم فيه حتى يفقدوه.

هكذا الإنسان لا تُصدق أنهُ قد يُعطي الشيء حقه قبل أن يخسره.

ومع الأسف فحتى عند خسارة الإنسان لهذا الشيء فهو حينها يعرف قيمته طوال ما هو فاقده فإن كسبه من جديد مرت الأيام وأنسته قيمته من جديد اللهم إلا لحظات تتخلل أوقات الإنسان بين حينٍ وآخر ليتذكر ماذا كان وإلى أين صار فيستمد دُفعةَ تقديرٍ لما خسره سابقاً ثم امتلكه.

في أحد المرات عندما انسرق عليّ هاتفي غالي الثمن كنت أشعرُ بأن قلبي يحترق، لهيب يزداد أكثر وأكثر ، يواسيني من معي ولكن ألمي لم يبرح مكانه.

كل عملية تذكر لحادثة السرقة خلال أول اسبوع لي كانت كالرياح التي تُشعل النار بعد أن تخمد، أتذكر بشكلٍ خاص ألمَ أول ليلة في وسط ظلام غرفتي التي أجلس فيها لوحدي أنا وألمي وروحي المُحترقة ونفسي المُنسرِقة و يرافقنا وجعي الذي يأُخذ مأخذهُ مني.

حينها ربطت عصابة على عيني وقلت أني سأظل هكذا حتى أنام أي حوالي من الساعة 10 مساءً حتى نومي وظللت حينها أخاطب نفسي بأني اليوم قد فقدتُ بصري، خسرتُ كلتا عينيّ.

ماذا سأفعل بعد الآن ؟ كيف سأقضي وقتي ؟ كيف سأعيش ؟ من سيرافقني ؟ كيف سأدرس ؟ كيف سأقرأ ؟ كيف سأُراجع حِفظي للقرآن الذي بدأتُهُ حديثاً ؟ من سيوظفني هكذا ؟ من سيتولى إحضار أكل بشكلٍ

يومي لأرانبي التي أقومُ بتربيتها في السطح ؟ حتماً سأضطر لبيعهن، غداً سأُخبرُ أخي أن يقوم ببيعهن.

بكيت، نعم بكيت، بكيتُ بقهرٍ وبتحسُف وبعدم تصديق وكأني في كابوس، راودتني بقوة فكرة أن أُزيل الرباط عن عيني ولكني قاومت هذهِ الفكرة حتى نمت ؟

استيقظت صباحاً وأنا أخفُّ ألماً كونَ ما فُقِد مني لم يكن بصري وإنما جوالي غالي الثمن وعشت حينها لأيام مُقدّراً قيمة البصر بقوة إلا أني الآن لم أعد أشعر بقيمة نعمة البصر كثيراً لأني من جديد اعتدتها.

إني أفكر بأن اقوم في أحد الأيام بشيء صعب وهو أن لا أتكلم طيلة اليوم وكأني عاجز عن الكلام وإنما سأتواصل مع الآخرين عبر الإشارة أو الكتابة على الهاتف أو حتى على ورقة.

وأفكر أيضاً بفعل شيء شبه مستحيل وفي قمة الرُعب وهو أن أعيش 24 ساعة وأنا أعمى من وقت نهوضي وحتى نومي وأنا عاصبٌ لعينيّ.

الفكرة جداً مرعبة لا أدري هل سأتجرأ عليها أم لا وهل لو أقدمتُ عليها سأستطيع الاستمرار فيها أم لا خصوصاً وأن لدي مشاكل نفسية ستجعل من العملية حقاً شبه مستحيلة.

درس مليء بالدروس

- سنبدأ اليوم من أول آية في حزب جديد من سورة غافر يقولُ الجبار فيها:

﴿أولَم يَسيروا فِي الأَرضِ فَيَنظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ كانوا مِن قَبلِهِم كانوا هُم أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً وَآثارًا فِي الأَرضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنوبِهِم وَما كانَ لَهُم مِنَ اللَّهِ مِن واقٍ﴾

والخطاب هنا موجهٌ لمن هم في محيط الرسول محمد من المشركين الكافرين برسالته بشكل خاص وبشكل عام للبقية وفيها مواساة أيضاً لأصحاب الحق، الرسول ومِمَّن اتبعهُ إلى يوم الدين.

ينبهنا الله للذين مضوا من الأمم ويذكر بأنهم كانوا أشد قوة وتأثير في الأرض أن يقيهم من وقوع العذاب عليهم.

فلتتذكروا أنهُ مهما بلغ مبلغ الطغاة أن الله قد أهلك من كان قبلهم من الطغاة من هو أشدُ وأقوى في القديم والحديث وليس فقط على صعيد الطواغيت كأفراد ولكن أيضاً على صعيد الدول والحضارات.

يسأل يحيى : ولكن يا شيخ أحياناً يعجز الإنسان عن تخيل سيناريوهات لزوالهم بل وتنعدم فرص هلاكهم المنطقية.

ردّ عليهِ الشيخ : فقط تذكر { وَيُضِلُّ اللَّهُ الظّالِمينَ وَيَفعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ } ثم يقول الله في الآية التالية للآية السابقة في سورة غافر

﴿ذلِكَ بِأَنَّهُم كانَت تَأتيهِم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَكَفَروا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَديدُ العِقابِ﴾

يسأل علي : هل انتهى حُكم هذه الآية لأن عهد الرُسل قد انتهى ؟

لم ينتهِ فرُسل الله باقين في الأرض حتى يُذهِبَهم الله ونوعُ الرسُل الذي توقف هم الرسل الذين يستمدون رسالتهم من وحي إلهي جديد، يوجد اليوم رُسُل يتخذون من آخر وحي إلهي نزل رسالة يسعون لتأخُذَ مأخذها.

يقولُ أمجد : ولكن في هذا السبيل ظهرت العديد من الجماعات التي ترى نفسها تطبق منهج الله بينما في الحقيقة نجد العديد من هذه الجماعات جماعات فاسدة مُفسِدة.

- صحيح ولكن هذا ليس عُذراً لأن يتوقف مُعتنقي الرسالة الحق عن العمل في سبيلها.

- يا شيخ وكأنك الآن تتكلم عن الجهاد ولكن مع الأسف اليوم صارت صورة لفظة الجهاد سيئة في أنظار المسلمين وغير المسلمين صارت رمز للإرهاب والإخافة والبغي على الآخر.

- يجيب الشيخ عدنان

يقولُ أحد مشايخي :

" ألا يريدون جهاد ؟ لهم ما طلبوا

إن الجهاد هو مجموعة ضوابط وقوانين تنظم حالة الحرب بالنسبة للمسلم، ما الذي يحق لك وما الذي ليس من حقك.

لا يحق لك أن تقتل صبي ولا امرأةً مسالمة ولا شيخ كبير ولا تدمير صومعة يهودي ولا كنيسة مسيحي ..... إلخ شرط ألا يكونوا مشتركين في هذهِ الحرب.

فإن أرادوا ألا تكون لنا ضوابط في الحرب مع الآخر فإنهم يريدون صناعة وحوش على أشكال بشر تأكل كل شيء في حالة الحرب"

ولا داعي لنذهب بعيداً في التاريخ لنرى الجرائم البشرية في الحروب فبيدنا الحرب العالمية الثانية وماذا جرى بسكان ألمانيا بعد هزيمتها وبيدنا أيضاً وثائق تكشف حجم الجرائم المُرتكَبة عند غزو أمريكا للعراق وعند غزوها لأفغانستان، لا أقول الآن أني مع صدام حسين أو مع حركة طالبان إنما أنا الآن بصدد الحديث عن أن هناك جرائم وحشية ارتكبها جنود دُعاة الإنسانية اليوم.

لن أتناول اليوم هذه الوثائق وتفصيلاتها كون هذا ليس موضوع اليوم ولكن يمكننا القيام بهذا يوم آخر إن كتَبَ الله.

ولا أريد أن يُفهَم كلامي أني أقوم الآن بوضعهم في غرفة واحدة والحكم عليهم بأنهم كومة شياطين، يجب أن لا ننسى أن كل تعميم هو حتماً خاطئ.

واعلموا أني لست ضد استخدام لفظة أخرى غير لفظة الجهاد، لا مانع لأن في هذه المسألة تحديداً يهمنا الغايات التي سنصل إليها بشكل أكثر أهمية من المصطلحات التي سنستخدمها للوصول لهذهِ الغايات ولكن بشرط أن هذه المُصطلحات لا تُخالف الخطوط الأساسية للإسلام .

يسأل يحيى : ولكن كيف سيعرف الناس الجماعة الحق وسط كل هذه الجماعات ؟

- سؤال وجيه وأقول فيه أن في معرفة الحق عدة معايير منها :

1- أن اليوم لا يكون الحق هو جماعة وإنما تكون الجماعة مستمسكة بجزء من الحق قد يكون جزءاً كبيراً وقد يكون صغيراً وأقول أن الجماعة قد تتمسك بهذا الحق لغايةٍ نبيلة وقد تتمسك به لتعزيز منزلتها في عيون المسلمين ولتغيير صورتها عندهم وقد تستمسك به لأنه يمنحها المزيد من المصالح والشعبية والتأييد من قِبَل الجماهير وفي المقابل لا يكلفها استمساكها بهذا الجزء من الحق أي ضرر وأحياناً تحتمل الضرر إن كان صغيراً بالنسبة لحجم استفادتها من هذا التمسُك الظاهري.

- شيخ هلّا ذكرت لنا اسم دولة أو جماعة تفعل هذا الشيء

فأعطاهم الشيخ نماذج ولكني لن أستطيع أن أذكُرها لكم كي يرى هذا الكتاب النور، ليس خوفاً وإنما حرصاً على وصوله لكم، واعلموا أن هناك خيط رفيع بين الشجاعة والتهور.

وبعد أن سمّى لهم الشيخ عدنان أمثلة قال :

- عموماً لم آتِ هنا لذكر أسماء إنما جئتُ لأضع معايير طبقوها على من شئتم ثم فلتروا النتيجة.

ولكن تقريباً اليوم لا توجد أي جماعة ولا أي دولة مستمسكة بالحق كلياً، فترى لمن استمسك بالحق تارةً مواقف عظيمة وتارةً هفوات مخزية لا تُصدَّق.

فاستمسِك بالحق الذي تتمسك به الدولة أو الجماعة وتبرأ من أخطائها، لا تتسامح معها لا تخجل ولا تخف من عرض هذهِ الأخطاء وانتقادها، ولتكن مع الحق تدور معهُ حيثُ دار ولا تستمسك بالجماعة أو الدولة الفلانية واعلم أن الحق لا يتجسد اليوم لا في دولة ولا في جماعة تجسُداً كاملاً ولكن من الممكن أن تكون الغايات نبيلة لدى دولة أو جماعة رغم ارتكابها للعديد من الهفوات.

سأل يحيى : كيف ؟

فأجاب الشيخ : تكون الغايات نبيلة ولكن التطبيق سيء للغاية بل ربما يكونُ فاسداً.

هنا في هذه الحالة تتواجد ازدواجية بين التنظير والتطبيق قد يكون سبب هذه الازدواجية هو إعلان القيادات أهداف نبيلة لاكتساب المزيد من التأييد وهم في نفس الوقت أي هذه القيادات تُبيِّت النوايا الخبيثة هذا صنف، وصنف آخر من القيادات يكون لديه خيرية بواطن وصلاح ظواهر ولكن اتّباعهم لأساليب خاطئة في سبيل تنفيذ غاياتهم النبيلة يوصلهم لهذه النتيجة ألا وهي أن تكون الغايات نبيلة ولكن سوء التطبيق يُسبب

فشل مُخزي يجعل الجماهير التي تبحث عن الحق تبتعد عن هذه القيادات أكثر وأكثر.

يسأل علي : وعلى صعيد المذاهب الفقهية كيف تنصحنا بأن نتصرف في مسألة اتّباع أي مذهب ؟

هناك نصيحة للعامة وأُخرى لمن لهم الهمة في البحث عن الصواب الراجح في المسائل الفقهية.

فأما لمن لهم الهمة فعليهم تحري البحث عن الصواب ثم اتباعه ولا يجوز لهم قبول فتوى أو رأي عالم في مسألة إذا لم يقتنعوا بصحتها حيث عليهم البحث ما استطاعوا ولا يُكلِف الله نفساً إلا ما آتاها من القدرات.

وأما العامة لا مانع من اتّباعهم للعالِم الذين يرضونه ومعايير الناس في قبول ورفض علماء متفأوتة منها ما هو صائب ومنها ما هو خاطئ وكيفية كشف العامة لهم هو دور أراه خاص بأصحاب الخبرة في مجال السياسة والدين وأضفت السياسة لأن الدين اليوم صار بحاجة أساسية لأن يقتنع الناس باندماجه بالسياسة ونحن اليوم في حاجة ملحة لا لسياسيين فقط ولا للمتدينين فقط فهؤلاء لدينا منهم الكثير وإنما نحتاج لأُناس استطاعوا حيازة الاثنين بامتياز يقول أحدهم

" تريدون مني أن اقعد في المسجد وأنتم تعلمون ولدي كراهية الإسلام في المدرسة ليعود ولدي ويهدم المسجد فوق رأسي"

وأقول

"عندما تخلى من لديهم كمية دين ومبادئ وقيم عن المراكز السياسية ظهر لنا كل هؤلاء اللصوص المفسدين"

الدين يأتي ليُحدد لك ما يصح وما لا يصح في معاملاتك السياسية في عدد من النقاط الأساسية ثم يترك لك مساحات عريضة تتمشى فيها براحتك بشرط أن لا تخالف ذلك العدد المحدود من النقاط الأساسية.

لا تُصدقوا من يخبركم بأن الدين في جانب والسياسة في جانب آخر منفصل ومنعزل يبدو أن هذا يريد أن يضع الدين في المسجد فقط ثم يُغلق عليهِ الباب.

فإن كان المُنادي بقيام السياسة على أسس غير دينية هو أحد من يرون نفسهم في جانب الدين فإنما هو يغطي عجزه وقلة خبراته وضعف حيلته في هذا المجال وقد يعلم أو لا يعلم بأنه يسعى أيضاً ليسد الباب على غيره فيحصرهم في الدين فقط حتى لو كان لديهم الاستعداد للتمكُن من المجال السياسي.

وإن نادى بهذا أحد الذين يرون أنفسهم في الجانب السياسي فإنما يقولها ليقل عدد المنافسين لهُ في الساحة السياسية محاولة لاستفراده بها فهو يكفيه المنافسين السياسيين فيها أيجذب أيضاً منافسين متدينين؟ يكونُ حينها بنظره من الأغبياء.

وإني لأشعر الآن باللا منطقية وأنا أفصل بين الجانبين ولكني أتكلم عن الواقع المؤلم الذي فصل بينهما ولا زال.

2- توجد ثلاث وسائل تحكم بها على أي كيان أحد هذه الوسائل سنقوم بإخراجها لأن تطبيقها لا يناسب على الدول والجماعات وهو محاولة معرفة حُسن النوايا لنجعل هذا خاص بين البشر الذين تربطهم مودة كالأصدقاء والأزواج والإخوة وغيرهم لذلك فلنكتفِ بتناول الوسيلتين الأُخَر.

وأولاهما هي الأقوال : ما هي الغايات المُعلنة لهذه الدولة أو الجماعة ؟ مبادئها ؟ من حلفاؤها ؟ من أعداؤها ؟ ماهي أولوياتها ؟

وثانيها وهي الأصدق هي الأفعال : ما هي أفعالهم على أرض الواقع ؟

قد ترى الأقوال في قمة الحُسن وعندما ترى أفعالهم على أرض الواقع ترى النتانة على أصولها، ترى الظُلم ترى المصلحة هي معبودهم، ترى المال هو سيدهم.

وتكفي حتى الآن هذه المعايير المُساعدة على معرفة الجماعات والدول التي تدّعي أنها على حق.

يسأل علي : وكيف سيعرف الأفراد أنفسهم أنهم في جانب الحق أم أنهم فقط يظنون أنهم في جانب الحق وفي الواقع هُم في الجانب الخاطئ ؟

فيُجيب الشيخ عدنان : مبدئياً المعايير التي وضعناها للتو ستفيد جداً فعلينا ألا نغفل عنها، واعلموا أنهُ لا توجد مسطرة لهذا القياس حيث أنه مهم أن تكون غاياتهم خيرية ولوجه الله وتذكروا أن كل خير بقوم بهِ مسلم يرجو به نيل الثواب، هو لوجه الله، ونوايا الإنسان تستطيع تحويل

عادات الإنسان إلى أعمال ذات غايات نبيلة يُرجى بها وجه الله، حتى تطوير المستوى المعيشي إن نوى به الإنسان غايات نبيلة كأن يخفف من آلام الدنيا عليه وعلى من حوله أو أن يكون سنداً لنفسه ولغيره، ومن الغايات العظيمة التي يغفل عنها أكثر الساعين لتطوير مستوى المعيشة هي أن يحصُل على نعم أكثر من الله فيزداد حينها حبهُ لله وحمدهُ له وهذه الأخيرة هي إحدى مسالك العارفين بالله، وما ذكرتُ لكم من نوايا ليست كلها وإنما قليل من الأمثلة لتستوعبوا الفكرة بشكل أوضح.

هذا بخصوص النية وأما بخصوص أعمالهم فيجب أن يحاكموها لمعايير الإله وأحياناً يتبنى الأشخاص مبادئ يظنون أنها تُرضي الإله وفي الحقيقة هي تخالفه بل والمصيبة أنهم أحياناً يحاربون أفكار يظنون أنها تعادي الدين بينما هي جزئية حقيقية في الدين لو تأملوا حقيقة دينهم لأدركوا هذا، لذلك فهذا العمل لا بد أن يقوم على البحث والتحري في إيجاد الحقائق المُرجَّحة على غيرها.

بعد الآيات السابقة يأتي الله بمثَل عن الأمم السابقة التي كانت أشد قوة من مجتمع شبه الجزيرة العربية

﴿وَلَقَد أَرسَلنا موسى بِآياتِنا وَسُلطانٍ مُبينٍ (23) إِلى فِرعَونَ وَهامانَ وَقارونَ فَقالوا ساحِرٌ كَذّابٌ﴾

في الحقيقة أنا لا أنوي المكوث عند هذه الآية وتفصيل مظاهر التطور عند الحضارة الفرعونية وبماذا تفوقت على شبه الجزيرة العربية قديماً لأني

أظن بأن مظاهر التطور واضحة ومن وجد في نفسِهِ الشغف في التعمق في هذا الموضوع أكثر وأكثر فسأُحيلُه للبحث.

ولنكمل مع الآية الآتية حيث يخبرنا الله فيها كيف تعاملت الدولة مع وضع إرسال موسى وهارون

﴿فَلَمّا جاءَهُم بِالحَقِّ مِن عِندِنا قالُوا اقتُلوا أَبناءَ الَّذينَ آمَنوا مَعَهُ وَاستَحيوا نِساءَهُم وَما كَيدُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ﴾

اقتلوا أبناء الذين آمنوا واضحة وأما معنى واستحيوا نساءهم فمعناها أبقوهن أحياء لا تقتلوهن وهذه إحدى طرق المفسدين في محاربة الحق وأهله وهي أن يؤذوهم في أحبائهم قد يحتمل الرجل منهم أن يُقتل ولكن الكثير منهم لن يتحمل أن يُقتل أبناءه أمامه، وهم لم يكتفوا بالأبناء بل استخدموا استراتيجية خبيثة في كيفية تعاملهم مع نساء من آمن منهم وهي أن يبقوهن أحياء فَيَهُم كل زوج زوجته ويقلق عليها كونها ستبقى مُعرضة ربما للتشرُد، للفقر، للسجن، ربما للتعذيب وربما للاغتصاب من قِبَل أفراد الجيش ! ولا يخفى أن هذا شيء يُدمر الرجل تماماً.

ولفظة نسائهم هنا ليست حصر على الزوجات بل تشمل الأمهات والأخوات وغيرهن ولكُم تخيل الوضع الإجرامي ولكن تخيلوا وفي ظل هذا الوضع بماذا ختم الله الآية واصفاً كل كيد الكافرين هذا ؟

{ وَما كَيدُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ }

دُهِشَ أمجد : يا الله ! أكُل هذا الكيد كُل هذا الشر كُل هذا التخطيط سيؤول في الأخير إلى ضياع ؟

أكمل الشيخ : ولا تظنوا أن الله هنا قد استهزأ بكيدهم أو استنقص نسبة نجاح خطتهم فهي خطة مُحكمة الخُبث والقسوة وهو كيد كبير لن يحتمله الكثير من البشر ولكن ومع كل هذا فإن مآله سيكون إلى ضياع وفشل في تحقيق النتيجة التي يرجونها خصوصاً وأن المكلفين بقيام الرسالة (موسى وهارون) هما قادة لديهم غايات نبيلة وأفعال تطبيقها صحيح على أرض الواقع بل ودعم إلهي كبير وفي هذا عزاء وأمل ليس للمتخاذلين ولا للقاعدين بل للساعين في محاولات لا تنتهي في سبيل أن يشرّفهم الله فيكون النصر الإلهي على أيديهم في أي مجال وبأي حجمٍ كان.

يستطيع كل فرد أن يساهم بشكل أو بآخر في تحسين جزئية معينة لدى المجتمع الذي يعيش فيه سواءً عبر مساهمته في عالم الأفكار أو في عالم المادة.

ولنأتِ للآية التي تليها

﴿وَقالَ فِرعَونُ ذَروني أَقتُل موسى وَليَدعُ رَبَّهُ إِنّي أَخافُ أَن يُبَدِّلَ دينَكُم أو أَن يُظهِرَ فِي الأَرضِ الفَسادَ﴾

وهنا الطاغية يتظاهر بالتعامل مع شعبه كالأب الرحيم الحنون الخائف على مُستقبل أولاده بينما هو لا يهتم إلا بمصالحه فترونه يتقمص دور صاحب مجالس الشورى فيقول لهم :

اتركوني أقتل موسى فإن كان على حق فسيحميه ربه

ثم يعيش دور الحاكم الأب فيقول :

أخافُ أن يضلكم هذا الكذاب ويضل شعبنا ويحيد بنا عن سواء السبيل وعن الصراط المستقيم لذلك اسمحوا لي بالإنهاء عليه، فهذا الفرد يُشعِلُ بيننا الفتنة ويثيرُ القلاقل.

وأحياناً الشعوب تعيش مثل هذه المواقف، فترى الحاكم يُضلل الجماهير بتشويه سمعة أحدهم ثم يناقشهم في مسألة كيف نعاقب هذا الفاسد بعد أن أوهمهم أنه فردد خطير.

(و قد يكون هذا المُتَهم هو أصلح القوم)

فلما رأى موسى كل هذا المكر قال

﴿وَقالَ موسى إِنّي عُذتُ بِرَبّي وَرَبِّكُم مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤمِنُ بِيَومِ الحِسابِ﴾

فاستجار واستعان بالله أن يحميه من كل متكبر يرى الحق ومع هذا لا يقبل به بل ويسعى لتكفر به الجماهير أيضاً ويدفعها لتقتُل القادة الصالحين.

هنا يتصدر المشهد شخص يكتم إيمانه، ولكن بما أن المسألة وصلت إلى قرار قطع رأس أحدهم بل وليس رأس أي مؤمن إنما رأس القائد ! لذلك رأى أنه يجب عليه الصدع بالحق.

وما أجمل وأبلغ تأثير الأسلوب الذي استخدمه للصدع بالحق والدفاع عن أتباعه لعلنا نتعلمُ منه :

﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إيمانَهُ أَتَقتُلونَ رَجُلًا أَن يَقولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَد جاءَكُم بِالبَيِّناتِ مِن رَبِّكُم وَإِن يَكُ كاذِبًا فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صادِقًا يُصِبكُم بَعضُ الَّذي يَعِدُكُم إِنَّ اللَّهَ لا يَهدي مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذّابٌ﴾

يُقال أن هذا الرجل كان ابن عم فرعون ويُقال غير ذلك ولكننا لسنا الآن مهتمين بالبحث في هوية هذا الشخص وإنما مهتمين بموقفه الذي خاطبَ فيه الشعب بالعقل أولاً فقال :

أمن العقل أن تقتلوا شخصاً فقط لأنه يقول أن ربهُ الله ؟ ثم إنه قد جاءكم بأدلة واضحة تُبرهن صدق دعوته فإن اكتشفنا فيما بعد أنه كاذب فسنريه ماذا سيحدث له وإن تيقنا أنهُ فعلا رسول أصبنا من الخير الذي وعدنا به، والله لا يُرشد من كان مسرفاً في الإثم كاذبٌ في الادعاء.

وموسى لم نعهده هكذا فذرونا نناقشه ونرى كل ما لديه لا أن نقتله !

ثم يستمر فيقول :

{ يا قَومِ لَكُمُ المُلكُ اليَومَ ظاهِرينَ فِي الأَرضِ فَمَن يَنصُرُنا مِن بَأسِ اللَّهِ إن جاءنا }

يقول لهم :

نعم نحن الآن أقوياء ومُمَكنين في الأرض ولدينا أحد أقوى الجيوش ولكن أجيبوني من سيحمينا من عذابِ الإلهِ إن جاءنا ؟

ألا ترون أن قوتنا لن تكفي كي نُعادي أحد رُسل الله فنكون بذلك نجني على أنفسنا ونسارع في هلاكنا.

ولكننا نرى يا طلاب أن الطاغية دخل في الخط ليوقف تأثير هذا المُتحدث فقاطع عملية تأثيرهِ على الناس :

{ قالَ فِرعَونُ ما أُريكُم إِلّا ما أَرى وَما أَهديكُم إِلّا سَبيلَ الرَّشادِ }

وهكذا كل حاكم مجرم يطمئن شعبه بأنهم يسيرون نحو الأفضل وأنه يمشي بهم على هدى نحو الصواب ليس فقط على صعيد الدين بل حتى على صعيد الاقتصاد والسياسة ولكن في الواقع فإنك تراه في أوقات كثيرة يسمح بارتكاب حماقات اقتصادية تضُر باقتصاد البلد وميزانيته ومع هذا يتحدث مع الشعب بكل ثقة بأنهُ لا يوجد خطر وأن الأوضاع طبيعية بل وتمشي نحو الأفضل لذلك لا تحتاج الدولة لتغيير سياسات ولا لتفعيل أجهزة الرقابة للإمساك ببعض اللصوص المرموقين الممركزين في مراكز الدولة لتقليل عمليات نهب ميزانية الدولة كي تقل ولو قليلاً آثار هذا النهب على الاقتصادي وعلى المواطنين وإن ادّعوا تفعيل أجهزة الرقابة والمحاسبة فغالباً ما يكونُ مجردَ تفعيلٍ ظاهري.

ولكن مؤمن آل فرعون يعود فيخاطب مشاعرهم بجانب عقولهم ولكن هذه المرة بطريقة الترهيب :

﴿وَقالَ الَّذي آمَنَ يا قَومِ إِنّي أَخافُ عَلَيكُم مِثلَ يَومِ الأَحزابِ (30) مِثلَ دَأبِ قَومِ نوحٍ وَعادٍ وَثَمودَ وَالَّذينَ مِن بَعدِهِم وَمَا اللَّهُ يُريدُ ظُلمًا لِلعِبادِ (31) وَيا قَومِ إِنّي أَخافُ عَلَيكُم يَومَ التَّنادِ (32) يَومَ تُوَلّونَ مُدبِرينَ ما لَكُم مِنَ اللَّهِ مِن عاصِمٍ وَمَن يُضلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِن هادٍ)

ثم يحذرهم من عدم تكرار السيناريو مع هذا النبي كما فعلوه مع نبي سابق أتاهم بالأدلة الواضحة على نبوته ولكنهم استمروا في شك حتى مات فلما مات قالوا لن يبعث الله برسول جديد إلينا لقد كان الأخير ولكن ها قد جاء نبيٌ جديد فآمِنوا ولا تكفروا، ويجسد هذا التحذير الآية الآتية

﴿وَلَقَد جاءَكُم يوسُفُ مِن قَبلُ بِالبَيِّناتِ فَما زِلتُم في شَكٍّ مِمّا جاءَكُم بِهِ حَتّى إِذا هَلَكَ قُلتُم لَن يَبعَثَ اللَّهُ مِن بَعدِهِ رَسولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ مُرتابٌ﴾

يخبرنا الله بعدها عن مزيد من مواصفات المسرف المرتاب فيقول :

﴿الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ بِغَيرِ سُلطانٍ أَتاهُم كَبُرَ مَقتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذينَ آمَنوا كَذلِكَ يَطبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾

يجادلون نعم يجادلون ولكن دون حجج، دون أدلة، دون براهين، دون منطق، يستخدمون المغالطات، يستخدمون إطلاق الأحكام وتكرر هذا كثيراً مع الرسل فلا ترى الكافرين من قومهم يناقشونهم وإنما يطلقون الأحكام عليهم كاهن، مجنون، سفيه، اعترته الآلهة بسوء، يتبعهُ الأرذلون وغيرها من الأحكام التي تسري حتى اليوم فترى الكثير لا يستطيعون نقضَ فكرة أو عقيدة أو رأي شخص ما بنقاش لذلك يلجؤون للحل

الأسهل وهو إطلاق الأحكام كافر، زنديق، فاسق، جاهل، غبي، مجنون، تافه، متشيع، علماني، مُلحد يكتم إلحاده إلى آخر هذه الأحكام التي لا آخر لها، ومع الأسف فإنكم ترون العامة حينها يتأثرون فإن قال أحد من يسمي نفسه شيخ عن أحدهم : أنه زنديق فاحذروه

فإن العامة تعتبر كلام هذا قرآن فتتبعه و تتناقل هذا الرأي، نعم اجتنبوه فقد قال عنه الشيخ الفلاني أنه زنديق.

والشيخ فلان قال عنهُ مبتدع فاسق على ضلالة.

هذه هي مشكلة إطلاق الأحكام دون القدرة على مناقشة أصحاب هذه الرؤى والآراء.

إن انسياق الجمهور مع الأحكام وتسليم عقلهم لأصحاب هذهِ الأحكام من مشائخ وغيرهم هي مشكلة حقيقية.

ودعونا الآن نعود لسياق السورة سورة غافر التي يسميها بعض العلماء بسورة مؤمن قاصدين بهذا الاسم مؤمن آل فرعون، المهم أن بعد كل هذا الخطاب القوي من مؤمن آل فرعون تدخل الحاكم من جديد ليستغفل شعبهُ مرةً أُخرى عن طريق إصدار قرار موجه لوزيرهِ الأول

﴿وَقالَ فِرعَونُ يا هامانُ ابنِ لي صَرحًا لَعَلّي أَبلُغُ الأَسبابَ (36) أَسبابَ السَّمأواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ موسى وَإِنّي لَأَظُنُّهُ كاذِبًا)

وكأن الله في عالم المحسوسات حتى يراه فيؤمن به، إن الله لا تنطبق عليه قوانين المحسوسات فتبحث عن كيف تراه أو عن كيف تسمعه، وما

سُمي التصديق بالله إيماناً إلا لأنك تؤمن ب غيب توصلت إلى وجوده بالأدلة من حولك كعقلك و رسل الله وكتبه.

ولكن هذا الاستغفال التافه يبدو أنهُ انطلى على أولئك القوم.

دعونا ننتقل قليلاً لسورة الزخرف ثم نعود لنتعمق أكثر في أمر استغفال واستخفاف الحاكم بشعبه وأسباب انسياقهم معه.

﴿وَنادى فِرعَونُ فِي قَومِهِ قالَ يا قَومِ أَلَيسَ لي مُلكُ مِصرَ وَهذِهِ الأنهار تَجري مِن تَحتي أَفَلا تُبصِرونَ﴾

من لديه الأملاك ؟ من لديهِ الأموال ؟ من بيده البلد ؟ من الأشهَر ؟ من صاحب الجاه والمنصب ؟

من منا ذو الحسب والنسب والأصول العريقة ؟

كل هذه أسئلة يصدقها خفيفو العقول المنبهرون بالمظاهر الذين يطالبون أتباع الحق بما طالب به قريش الرسول محمد.

{ لَولا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنز }

﴿أو تَكونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَخيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأنهار خِلالَها تَفجيرًا﴾

نعم كلها مظاهر ترف وسطوة.

اسمعوا يا طلاب إن البشر اليوم صاروا مستعبَدين لمظاهر الترف.

لذلك فإنك تجد شيخاً في السبعين من عمره يعتبر من رواد الحق اليوم، لهُ دروس أسبوعية في مسجد العين برام الله في الدولة الحبيبة فلسطين،

وترى رئيساً فاسداً آخر عند دخوله للقصر ترى الكاميرات تصور البساط الأحمر الفاخر الذي يمشي عليه، السيارات التي ترافقه، المرافقين الذين معه، الإعلاميين الذين حوله.

عند سؤال الناس من ستتبعون لو كنتم في موقف الاختيار ؟ وأنتم فعلاً اليوم في موقف الاختيار.

فستسمع الأصوات تقول بكل ثقة طبعاً مع هذا الشيخ في المسجد، لأنهم أساساً مُستبعِدين أن يقبلهم ذاك الرئيس الفاسد حتى ولو باعوا الشيخ لأجله، والكلام طبعاً بالمجان فما ضرُهم أن يختاروا بالكلام صف هذا الشيخ ؟

ولكن إن خُيِّر الناس تخييراً حقيقياً لا افتراضياً ولا كلامياً في مسألة أيهما ستتبعون فإنك سترى الأغلبية مع هذا الرئيس حتى لو كان رئيس دولة غير مسلمة، لا تفكروا كثيراً لماذا فالإجابة باختصار هي لأن هذا الرئيس معهُ الترف ومعهُ المال ومعهُ الجاه ومعهُ السطوة، والسلطة أيضاً معه.

اليوم البشر صاروا كبني اسرائيل في عهد النبي موسى أناس لا يؤمنون إلا بالمادة فحتى عندما أغرق الله لهم فرعون أمام أعينهم وأنجاهم منه بعد أن رأوا ما رأوا من العذابات ومن المعجزات في مصر إلا أنهم حين خرجوا ورأوا قوماً يعبدون أصنام طلبوا من النبي موسى أن يجعل لهم إله كما لهؤلاء إله نعم يريدون تجسيد لإله يرونه لا إله فقط يسمعون عنه ويرون آثاره.

وعندما ذهب موسى لميقات ربه أربعين يوماً عبدوا خلالها عجل من حُلي ؟!!

بل وحتى عندما أخذ موسى سبعين رجلاً لميقات الله ليعتذروا لله عن ما فعلهُ قومهم من عبادة العجل علماً أن هؤلاء السبعين هم خيار القوم ولكن تخيلوا أنهم وصلوا لمرحلة قالوا فيها لموسى :

(لن نؤمن لك حتى نرى اللّهَ جهرة)

وهكذا نحن اليوم الأشياء التي لا نراها لن نصدقها ولو كانت وعوداً إلهية، نعم المسلمين يصدقون بوجود جنة ونار وملائكة لأن تصديقهم لهذه الأشياء لن يصارع مصالحهم ولكنهم لن يصدقوا بنصر الله للحق فيتبعوا ذاك الشيخ الكبير في السن.

لماذا ؟ لأنهم يطمعون بما عند ذاك الحاكم من المتاع الزائل ولكن يبقى في الأخير لله قومٌ إخلاصهم كلهُ لله لا يبيعون قضيتهم بعرضٍ من الدنيا قليلٍ ولا كثير.

يستمر فرعون بسؤال قومه : مَن خير ؟ أي من الأفضل أنا أم هذا عديم الشأن الذي لا يكادُ يُذكر ؟

﴿أَم أَنا خَيرٌ مِن هذَا الَّذي هُوَ مَهينٌ وَلا يَكادُ يُبينُ﴾

ثم يُكمل فرعون خطابهُ فيقول لو أنهُ على الأقل جاء بأسورة ذهب أو جاء معهُ ملائكة.

نعم حاكم غارق في المادية وشعب غارق في الافتتان بها، غارقون بالانبهار بمظاهر الغنى، معاييرهم مادية خسيسة.

﴿فَلَولا أُلقِيَ عَلَيهِ أَسوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ أو جاءَ مَعَهُ المَلائِكَةُ مُقتَرِنينَ﴾

وفي الأخير

﴿فَاستَخَفَّ قَومَهُ فَأَطاعوهُ إِنَّهُم كانوا قَومًا فاسِقينَ﴾

نعم استطاع هذا الحاكم الاستخفاف بهم وإقناعهم لأنهم كانوا فاسقين أناس معاييرهم دنيوية قائمة على المصالح والمنافع الزائلة وبهذا تستحق العديد من الشعوب الفاسقة التافهة بقاء الطغاة على رؤوسهم.

ولنَعُد الآن لسورة غافر بعد أن أمر فرعونُ هامانَ ببناء البناء العالي علق الله فقال

{ وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرعَونَ سوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبيلِ وَما كَيدُ فِرعَونَ إِلّا في تَباب }

يعود مؤمن آل فرعون بهجمةٍ شرسةٍ في عالم الفكرة وفي عالم الوجدانِ أيضاً رداً على هجمة فرعون و سأكتفي بسردها لكم دون التعليق عليها

﴿وَقالَ الَّذي آمَنَ يا قَومِ اتَّبِعونِ أَهدِكُم سَبيلَ الرَّشادِ (38) يا قَومِ إِنَّما هذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ(39) مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجزى إِلّا مِثلَها وَمَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثى وَهُوَ مُؤمِنٌ فَأولئِكَ يَدخُلونَ الجَنَّةَ يُرزَقونَ فيها بِغَيرِ حِسابٍ (40) وَيا قَومِ ما لي أَدعوكُم إِلَى النَّجاةِ وَتَدعونَني إِلَى النّارِ(41) تَدعونَني لِأَكفُرَ بِاللَّهِ وَأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لي

بِهِ عِلمٌ وَأَنا أَدعوكُم إِلَى العَزيزِ الغَفّارِ(42) لا جَرَمَ أَنَّما تَدعونَني إِلَيهِ لَيسَ لَهُ دَعوَةٌ فِي الدُّنيا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ المُسرِفينَ هُم أَصحابُ النّارِ(43) فَسَتَذكُرونَ ما أَقولُ لَكُم وَأُفَوِّضُ أَمري إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصيرٌ بِالعِبادِ﴾

جرّاء هذه الهجمة القوية وربما جراء ما أحدثته من تأثير في عقول وقلوب بعض الجماهير تم إصدار قرار بحق هذا المؤمن الذي صار تهديداً في وجه استقرار حكم فرعون وحاشيته وبقاءهم واستمرار هيبتهم ومكانتهم.

تم إصدار قرار في حق هذا المؤمن الذي حارب كل عملية لاستغفال الشعب عبر عملية وعي أكبر.

هذا المؤمن وأمثاله اليوم يتم إصدار قرارات خبيثة سيئة تبغي استئصالهم نعم لقد مكروا بهذا المؤمن سوءًا.

﴿فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَروا وَحاقَ بِآلِ فِرعَونَ سوءُ العَذابِ﴾

ولكن يتضح أن الله قرر حمايته

قال يحيى : شيخ عدنان لا يحمي الله دائماً المؤمنين به أليس كذلك ؟

يجيب الشيخ : لا ينصرُهم الله دائماً في معركة الدنيا لحكمةٍ يريدها هو، وتارةً بسبب أخطاء يرتكبُها الناذرين أنفسهم في سبيل الله، أخطاء قد تودي بحياتهم ولكن يجب أن لا ننسى أن الله اعتبر من لم يستطيعوا تحقيق النصر الحاسم في الدنيا شهداء و أظن أنكم جميعاً تتذكرون درسنا المطول عن الشهيد والشهادة.

وتتذكرون أن إحدى الأمور التي تناولناها هي أن الشهيد ليس فقط من مات في سبيل الله بل من عاش في سبيل الله فهو أيضاً شهيد.

اعلموا أن الله يريد منّا العيش في سبيله أكثر مما يُريد منا الموت في سبيله، إن الموت في سبيل الله ينبغي أن يكون الخيار الأخير في جُعبة المؤمن لأن حياته سيكون لها أثر أكبر من موته، ولكن متى ما دعت الحاجة للتضحية بالنفس في سبيل الله فإنك ترى الصادقين يتسابقون لتقديم أرواحهم لله.

وتذكروا في سورة البروج كيف كان المصير الدنيوي لأصحاب الأخدود فقد هُزموا في معركة الأرض ويخبرنا الله بانتصارهم في معركة السماء ومن أراد أن يمتلئ إيمانياً بهذه المسألة فعليه بقراءة جزء من كتاب معالم في الطريق لسيد قُطب بدايةً من صفحة 173 وصولاً لصفحة 186 وعموماً فالكتاب بأكمله يستحق القراءة.

يسأل علي الشيخ قائلاً : ما هو المعيار الذي من خلاله يضمن الله نصر أتباعه في الدنيا قبل الآخرة ؟ وهل هناك أساساً معيار كهذا ؟

لا أعلمُ معياراً حتى الآن ولا أعلم أحدهم قد علم هذا المعيار حتى الآن ولله ِ في خلقهِ شئون ولهُ الحكمةُ كلها لا يُسئَلُ عمّا يفعلُ وهُم يُسئَلون ولهذا لا يَظُنَنَّ السالك في قضيةٍ في سبيل الله أنهُ محميٌ بحاجزٍ إلهي لا يصلهُ السوء من بين يديه ولا من خلفه بل عليه أن يحسُب حساب كل خطوة وأن يمشي فيها معتمداً على الله وليحذر أن يرسم الخطة بدلاً عن

الله فيتعجب عندما لا تمشي خطته كما أراد فيتساءل أين معونة الله ومدده وتذكر أن الله قال عن العطاء الدنيوي

﴿كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ مِن عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحظورًا﴾

لديه أموال وعدة وعتاد كما لديك بل ربما أكبر مع أنك أنت الذي في صف الحق وليس هو فلماذا يجري هذا ؟

لأن لهذه الدنيا قوانين ونواميس تمشي عليها

نعم يتدخل الله عندما يريد فيقلب النتائج كما لم يتصورها أحد.

لذلك تذكر أنك جندي في ساحة الله يستعملك متى أراد ويحقق على يديك ما أراد وينتهي عملك في هذه الساحة متى شاء أن ينتهي دورك في هذا التسلسل وتذكر

{ وَإِن تَتَوَلَّوا يَستَبدِل قَومًا غَيرَكُم ثُمَّ لا يَكونوا أَمثالَكُم }

و لا مانع من أن يقوم الإنسان برحلة بحث استكشافية عن معيار التدخل الإلهي لحماية أتباعه فلعل الله يرزقُه كنز معرفة هذا المعيار.

لنعُد لتفسير آيات سورتنا ...

بعد أن أخبرنا الله بأنهُ وقى ذلك المؤمن السوء الذي كيد له حدثنا أن آل فرعون حاق بهم سوء العذاب ثم كلمنا ما هو العذاب الذي لحِق بهم

{ النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقومُ السّاعَةُ أَدخِلوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العذاب }

قال أمجد : شيخ عدنان هذه الآية يستدل بها الكثير على وجود عذاب القبر وأنت تعلم الضجة الحاصلة بخصوص موضوع عذاب القبر بين نفيٍ وإثبات فهلّا تكرمت علينا بإدلاء رأيك في هذا الموضوع ؟

وقفة سريعة مع ما يُسمى بعذاب القبر

أجاب الشيخ أمجد فقال : قبل أن أبدأ أود أن أُنوِهَ إلى أني لن أتكلم عن عذاب القبر في الأحاديث لأنه واضح أن موقف السنة الصحيحة هو إثبات وجود عذاب قبر، وكذلكَ لن أذكُر بقية الآيات التي تساند وتعاضد وجود عذاب قبر، لأن هذا الموضوع ليس موضوعنا اليوم وإنما سنتطرّق لهُ بسرعة لأنه صادَفنَا في سياقِ هذهِ السورة.

وفعلاً كما قلت يا أمجد فهذه الآية هي إحدى أقوى أدلة إثبات القرآن لعذاب القبر والكثير من الذين يستشكلون وجود عذاب القبر مشكلتهم هي أنهم يحكمونه بالمعايير المادية.

تساءل أمجد : كيف ؟

فأعتقهُ الشيخ من تساؤله : يظنونه عذاب أجساد لا عذاب أرواح فيقولون لو فتحنا قبور العديد من الناس العاصين فضلاً عن من نعتبرهم كافرين بعد مدةٍ من دفنهم لما رأينا سوى العظام، هذا بخصوص من دُفنوا فماذا بخصوص من أكلتهم السباع في الغابات أو من غرقوا أو من مات حرقاً أو أو أو فكيف سيعيشون ما يُسمى بعذاب القبر ؟

ولذلك من الأصح أن نسميه عذاب البرزخ ولنجعل حياة البرزخ هي الفترة ما بين موت الإنسان وقيام الساعة.

وبذلك يصير للإنسان حيواتٍ ثلاث دنيا وبرزخ وآخره.

ولو جئنا للأولى وهي الدنيا لرأينا أن فيها نعيم وفيها عذاب وإلا لما كان لها معنى ولو جئنا للآخرة لوجدناها كذلك بها نعيم وبها عذاب وإلا لما كان لها قيمة

وليكُن السؤال الآن هو : هل في حياة البرزخ نعيم أو عذاب ؟

يرجح العقل مع القرآن (كما سنرى) أن حياة البرزخ هي أيضاً حياة لها معاناتها ونعيمها كي تكتسب معنى وقيمة وإلا فما قيمتها ؟ و ما معناها ؟

يقيس ويحاكم بعضهم حياة البرزخ بمعايير ومقاييس مادية أخرى.

مثل أنهُ سيكون هناك ظلم في مدة العذاب والنعيم بين من مات قبل ألف سنة ومن مات اليوم، لذلك نقول لهذا الشخص الذي يفكر بهذه الطريقة : من قال لك أن اليوم في عالم الأرواح كاليوم في عالم الأجساد ؟

بل من أخبرك أن هناك زمان أصلاً ووقت ؟

هذه كلها قوانين في الحياة الأولى أي الحياة الدنيا فلا تُخطئ وتقوم بتعميمها على الحياتين الأُخَر كي لا تقع في مأزق فتستشكل مسألة استيعاب وجود حياة البرزخ وما ترافقه من نعيم وعذاب ولنأتي لتفصيل الآية وسنبدأ من ختام الآية السابقة

{ وَحاقَ بِآلِ فِرعَونَ سوءُ العَذابِ }

ما هو العذاب الذي حاق أي أحاط بهم ؟

{ النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها }

متى يُعرَضون عليها ؟ { غُدُوًّا وَعَشِيًّا }

وكأنه كناية عن طيلة اليوم.

كأن يسأل الطبيب المريض قائلاً متى تشعر بالآلام فيجيبه : صباحً ومساءً فيفهم حينها الطبيب أن هذا يعني أنه يشعر بالآلام طيلة اليوم.

سأل يحيى : لماذا لا يكون هذا العرض هو في يوم القيامة ؟

تبسم الشيخ عدنان وقال : لو انتظرت لعلمت لماذا.

ابتسم يحيى خجلاً من موقفه وضحك البقية واستمر الشيخ :

لأن الله بعد أن قال أنهم يُعرَضون على النار غدواً وعشياً تابعَ فقال : (ويومَ تقومُ الساعةُ أدخلوا آلَ فرعونَ أشدَ العذاب)

أي أن هذا العذاب هو عذاب ما قبل يوم القيامة، وكما نعلم فإنّ آل فرعون لم يُعذبوا بالنار في حياتهمُ الدنيا وكما شرح لنا الله فإن موقع هذا العذاب هو قبل يوم القيامة وبالتالي فلم يتبقَ لنا احتمال لاختيار موقع هذا العذاب سوى في حياة البرزخ.

وتمعنوا في الآية من جديد

{ وَحاقَ بِآلِ فِرعَونَ سوءُ العَذابِ }

ما هو هذا العذاب ؟ النار

{ النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها غُدُوًّا وَعَشِيًّا } ثم ماذا؟

{ وَيَومَ تَقومُ السّاعَةُ أَدخِلوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العذاب }

أي أن العذاب الأول هو عذاب شديد والعذاب التالي هو العذاب الأشد والذي هو في يوم القيامة.

ومثلُه أن أقول أن الدُب كبير والفيل أكبر هناك كبير وهناك أكبر وفي العذاب هناك شديد وهناك أشد.

يرفع أمجد يده فيعطيه الشيخ الإذن فيقول : ولكن هناك آية شهيرة يستدل بها من لا يؤمن بنعيم وعذاب حياة البرزخ ومن خلالها فإنهم يُبرهنون على أن حياة البرزخ ليست سوى عبارة عن منام أو مرقد أو سبات طويل أي أنهم يؤمنون بوجود حياة البرزخ ولكنهم يعتبرونها مُجرّد حالة نوم طويل، وهذهِ الآية هي قوله تعالى في سورة يس

﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَإِذا هُم مِنَ الأَجداثِ إِلى رَبِّهِم يَنسِلونَ (51) قالوا يا وَيلَنا مَن بَعَثَنا مِن مَرقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحمنُ وَصَدَقَ المُرسَلونَ﴾

فما تعليقك يا شيخ ؟

لي عدة تعليقات أولها هو أنهم فعلاً قاموا من مرقدهم الذي فيه تعذبت أرواحهم لقد كان مرقد للأجساد و حياة كاملة للأرواح بها نعيم وعذاب ولكي أُقرِّبَ لكم المعنى فإليكم بهذا المثال.

لنفترض أن لدينا شخصاً مكثَ في السجن 10 سنوات عانى فيها عذابات جسدية ونفسية بعد خروجه هل سنقول عنه ؟ خرج من عذابه أم خرج من السجن ؟

طبعاً خرج من السجن ولكن أي سجن ؟ ذاك السجن الذي تلقى فيه عذاباته.

وهم كذلك يوم القيامة سيبُعثونَ من مرقدهم الذي تلقوا فيه عذاباتهم.

رأي آخر فسّر لماذا قالوا أنهم قاموا من مرقدهم

حيث استنتج بأنهم يعيشون حينها صدمة بعثهم ورؤية أهوال يوم القيامة التي تضع فيها كل ذات حمل حملها ويشيب الولدان فيه وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فحينها يرى كل ما كان فيه من العذابات شيء هين مقارنةً بالأهوال التي يراها الآن فوصفَ ما عاشَهُ بالمرقِد بالنسبة لهذا الأشد.

رأي ثالث يقول هم فعلاً كانوا في مرقد بدليل قوله تعالى في سورة الزمر

﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمأواتِ وَمَن فِي الأَرضِ إِلّا مَن شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخرى فَإِذا هُم قِيامٌ يَنظُرونَ﴾

ولكني أحتاج منكم لفهم هذا الرأي أن تركزوا معي بأقصى ما تستطيعون، استعدوا ولنبدأ

أولاً نُفِخَ في الصور فصُعقوا بسرعة

ما الدليل على أنهم صُعِقوا بسرعة ؟

الدليل هو الفاء التي أتت قبل كلمة صُعقوا حيث دُمِجت معها

تأتي هذه الفاء للترتيب مع التعقيب وللتتالي السريع

(فصُعِقَ) ولم يقُلِ الله (ثم صُعِقَ) لو قال ثم فهذا يوحي بمدة زمنية ليست قصيرة بين مدة النفخ في الصور ثم صعق الخلائق.

لو قال الله ثم ولم يقل ف فإن المعنى سيكون كالآتي :

تم النفخ في الصور ثم مرت فترة ليست قصيرة ثم صعقوا ولكن عندما قال الله (فَصُعِقَ) صار المعنى كالآتي :

تم النفخ في الصور ثم مرت مدة قصيرة جداً ثم صُعِقوا.

ربما تتساءلون الآن حول ما الذي ستستفيدونَهُ من هذا الذي شرحناه آنفاً ولكن لا تستعجلوا لأنكم ستعلمون قريباً.

لنأتي للنُقطة التالية من الذي تم صعقه ؟

من في السموات.

ومن أيضاً ؟ ومن في الأرض والذين هم في الأرض يتضمن من هم فوق الارض ومن هُم تحتها أيضاً فلو كانت أرواح الموتى تستقر في السماء فحينها سيُصعَقون وإن كانت أرواحهم تستقر في الأرض فيحينها أيضاً سيُصعَقون الآن جميع من صُعق صار في مرقد.

انتبهوا إلى أنّ من صُعِقوا هم من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

ثم ماذا ؟ تمر مدة ليست قصيرة بعدها يتم النفخ في الصور مرة أخرى.

كيف عرفنا أن الصعقة الثانية لم تكن بعد مدة قصيرة؟

بسبب الحرف ثم

{ ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخرى فَإِذا هُم قِيامٌ يَنظُرونَ }

ولم يقل (فنُفِخَ فيهِ أُخرى)

و ثم تأتي للترتيب مع التراخي.

أي أن ثُم تأتي إن كان هناك فاصل زمني غير قصير

بينما الفاء كما شرحنا تأتي للتعقيب أي عندما يكون الفاصل الزمني بين الحدثين قصير جداً.

والقرآن كما نعلمه دقيق جداً في اختيار ألفاظه واختيار مواقع هذه الألفاظ.

بعد أن نُفخ في الصور للمرة الثانية بعد مدة ليست قصيرة من صعقهم ما الذي جرى ؟

صاروا قياماً ينظرون وحينها قال أولئك

{ مَن بعثنا مِن مَرقدِنا } نعم فهم عندما صُعِقوا بسبب النفخة الأولى قد دخلوا في رُقاد فلما نُفِخَ في الصور النفخة الثانية قاموا من مرقدهم.

هذا وهناك العديد من أدلة إثبات نعيم وعذاب حياة البرزخ في القرآن يستطيع من أراد منكم الاطلاع عليها أن يبحث عنها ويتوسع فيها ونحن لم نأتِ هنا للتفصيل في هذه المسألة وإنما سياق النص القرآني الذي اتبعناه اليوم في سورة غافر أدى بنا لهذا الوادي وكلُهُ من رزق الله وخيرهِ وكثير فضله.

وبوجهٍ بشوش قال الشيخ لنقم لنصلِّ المغرب ثم لنعد للمرة اللا أدري كم لسياق سورتنا الحبيبة.

عودة من الوقفة السريعة نحو سياق سورتنا الحبيبة

صلى الجمع آمّاً بهم الشيخ، وجدوا مزيداً من الخشوع في تلك الغرفة المظلمة خافتة الضوء التي لا يأتيها سوى قَبس نور يدخل عبر الزجاج الذي أعلى الباب آتياً من غرف البيت الأُخرى وصوت الشيخ جمّل ملامح الخشوع وساعد العقول على التدبر في الآيات والتأمل فيها وأكملوا الصلاة و ختموا جلستهم الروحانية بلحظاتِ صمتٍ بعد الصلاة.

بعدها قام يحيى ليُحضر معشوقهم (البُن بالحليب) وأخرج كل شخص منهم هاتفه حتى حين عودة يحيى بمشروباتهم الساخنة.

وجاءت الفناجين وسُكِب البُن وقبل أن تبدأ الجلسة قال لهم الشيخ ما رأيكم بأن نواصل درسنا غداً ويكفي ما قد أخذنا لليوم ؟

أيد أحدهم الاستمرار غداً ورشح آخر أن يستمروا وقال الثالث أنه لا فرق بالنسبة لهُ بين القرارين.

ولكن الشيخ رجّح قرار التأجيل فتم تأجيل الدرس واحتسوا أكوابهم ودردشوا ثم رحلوا لا فرّق الله بينهم.

استمرار مُباشر من عُمق الدرس

- وطلبت الجماهير من قادتها الفاسدة أن يعفوهم من نصيبهم من العذاب فهُم مجرد ماعز يتبعون الراعي ليس لديهم عقل ولا نور في الصدر ولا عزيمة بحث وتفكُر للتأكد من مواقفهم سواءً السياسية أو الدينية. يبدو أن اللامبالاة هي ما أوصلهم لهذا الحال.

﴿وَإِذ يَتَحاجّونَ فِي النّارِ فَيَقولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذينَ استَكبَروا إِنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا فَهَل أَنتُم مُغنونَ عَنّا نَصيبًا مِنَ النّارِ﴾

ولكن يبدو أن كُبرائهم وسادتهم قاموا بمغالطتهم بالكلام والأعذار والوعود والحُجج كما كان الحال في الدنيا أيضاً

﴿قالَ الَّذينَ استَكبَروا إِنّا كُلٌّ فيها إِنَّ اللَّهَ قَد حَكَمَ بَينَ العِبادِ﴾

ويبدو حينها أنهم علموا أن سلطة سادتهم قد انتهت فلجأوا كعادتهم في الدنيا للبحث عن أناس ذو سلطةٍ أكبر، ومكانةٍ أعلى، فجاءوا لحُراس النار يترجوهم أن يتوسطوا لهم عند ربهم أن يشفق عليهم ويُخرجهم منها ولكن يبدو أن الرفض كان جوابهم وبعد أخذ وعطاء ويأس وقطع للأمل نادوا خزنة النار بطلب صغير جداً مقارنةً بالأول.

﴿وَقالَ الَّذينَ فِي النّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادعوا رَبَّكُم يُخَفِّف عَنّا يَومًا مِنَ العَذابِ﴾

وجاءهم جواب الطلب

﴿قالوا أولَم تَكُ تَأتيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّناتِ قالوا بَلى قالوا فَادعوا وَما دُعاءُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ﴾

كم هي مؤلمة { فَادعوا وَما دُعاءُ الكافِرينَ إِلّا في ضَلالٍ}

ألم يأتِ نصر الله لأصحاب تلك الدعوة ؟ ألم يأخُذ بحقهم ممن آذوهم وحاربوهم وطغوا عليهم ؟

ويخبرنا الله عن أنواع نصره فدنيوي وأُخروي، وقد ينال المرء كليهما وقد ينهزم في قانون الأرض ولكن حاشى أن يخسر رسول الله والذين آمنوا في نصرهم السماوي

﴿إِنّا لَنَنصُرُ رُسُلَنا وَالَّذينَ آمَنوا فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيَومَ يَقومُ الأَشهادُ﴾

ويوجه الله توجيهه نحو أتباعه في كل زمانٍ ومكان ويحثهم على الصبر فسيحتاجونه طوال الطريق وقام أيضاً بتذكيرهم بذنوبهم فلا يغتروا بأنهم عاملون بيدِ الله فيتعاملون مع أنفسهم ومع من حولهم وكأنهم معصومون وأنهم مقربون فلا يحتاجون للمزيد من عملية التقرب لله بالعبادات والشعائر.

﴿فَاصبِر إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبكارِ﴾

﴿إِنَّ الَّذينَ يُجادِلونَ في آياتِ اللَّهِ بِغَيرِ سُلطانٍ أَتاهُم إِن في صُدورِهِم إِلّا كِبرٌ ما هُم بِبالِغيهِ فَاستَعِذ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾

واحذروا أن تجادلوا في أي مسألة أو في أي شخصية أو أي زعيم حزب دون أن يكون لديكم سلطانُ أدلة.

لا تدعوا العَنَت والكبر الذي في صدروكم يضللكم عن الحقائق فلا تقبلوها حينها لأنها جاءت من أشخاص تكرهونهم.

وتذكروا أنهُ ليس عيباً أن تتحولوا من حالة التأييد إلى حالة العداء لشخص أو لجماعة.

وما أكثر ما يحدث من هذا على صعيد المجال السياسي فيظل أتباع الحزب يتبعون القائد على بصر وعلى عمى، فقائدهم على صواب مهما صار حتى الممات وعدوهم شيطان حتى الهلاك.

لا يُمكن لهم في يوم من الأيام أن يغيروا صفهم حتى لو تغيرت نظرتهم حول من هم الذين في صف الحق، والغالبية لا تستطيع تغيير مواقفهم حتى لو اكتشفوا الحقيقة بأن زعيم جماعتهم فاسد والآخر الذي يعارضونهُ هو الأصلح وسبب هذا هي كمية الكبر والغرور التي بصدورهم فاستعيذوا بالله من هذا الكبر إنهُ هو السميع العليم وانتبهوا

(إلى أنكم إن اكتشفتم أن زعيم جماعتكم فاسد فلا يعني هذا بالضرورة بأن زعيم الجماعة المعادي له على صلاح وهدى فقد يكون كليهما أسوأ من بعضهما)

وتذكروا

{ وَما يَستَوِي الأَعمى وَالبَصيرُ وَالَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَلَا المُسيءُ قليلاً ما تتذكرون }

وتذكروا أن الله قد يتوفاكم وقد يتوفى الظالمين دون أن يريكم سوء ما سيحصل لهم

{ فَاصبِر إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمّا نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم أو نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَينا يُرجعون }

ثم يصف الله ألواناً من العذاب الذي سيتلقونه، وفي الأخير يوجه لهم رسالة تُربِك العديد من المسلمين اليوم

﴿ذلِكُم بِما كُنتُم تَفرَحونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَبِما كُنتُم تَمرَحونَ﴾

فجميعنا نفرح ونمرح فهل سنُعاقب على هذا الفرح والمرح ؟

تذكروا أنهم فرحوا ومرحوا في الأرض بغير الحق بالظلم بالسوء بالاضطهاد بالنهب بالاستبداد بالقتل لهذا فإن تعريف الفرح في اللغة هو لذة في القلب لنيل المشتهى فهو لذة تغمرك بسبب ما وددت الوصول إليه فإن كان ما وددت الوصول إليه غاية سيئة أو إن كان ما تريد الوصول إليه ليس سيئاً بحد ذاته ولكن الطرق التي تتخذها للوصول لغايتك هي في ذاتها سيئة كنت حينها تفرح بغير الحق.

حينها ستصل فتفرح وتمرح ولكن تذكر أن كل هذا بغير حق، وهذا يُلمح لنا بأن العديد من المفسدين يعيشون حالة فرح ومرح وأنهُ ليس شرطاً أن يعيشوا في مآسي و اكتئاب وتعاسة وكدر وهم وغم.

وفي سبيل مناهضتك للفرحين في الأرض بغير الحق تذكر أنهم وجموعهم وحشودهم وجماهيرهم قد يستهزئون بك لأنهم يرون أن لديهم من العلم ومن المال والتطور التكنولوجي وغيره ما يفوق على ما لديك ولكن يواسيك الله بأن مآل ونهاية استهزائهم ستكون سيئة عليهم.

﴿فَلَمّا جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَرِحوا بِما عِندَهُم مِنَ العِلمِ وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ﴾

ثم يتكلم الله عن تحول موقفهم الى الإيمان لما رأوا هلاكهم المُحدِّق

﴿فَلَمّا رَأوا بَأسَنا قالوا آمَنّا بِاللَّهِ وَحدَهُ وَكَفَرنا بِما كُنّا بِهِ مُشرِكينَ﴾

ويختم الله السورة ومعه نختم درسنا

بما قيل لهُم وهو أن الوقت قد تأخر ليتحول موقفكم.

﴿فَلَم يَكُ يَنفَعُهُم إيمانُهُم لَمّا رَأوا بَأسَنا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتي قَد خَلَت في عِبادِهِ وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرونَ﴾

و استمرت وتستمر سنة الله لن يدوم باطل ولكن بشرط

"أن لا يترُك أهل الحق الساحة"

نهاية الفصل اللا أخير :

إن المهم هو أن يلقى هذا العلم سبيلهُ ليُتَرجم في أفعالكم فتنجحوا في اختبار التجربة لأنهُ لا يكفي أن تنجحوا في اختبار المعرفة وتذكروا الآيات التي كانت موضوع درسنا اليوم قول الملك لنا

﴿وَلا تَهِنوا وَلا تَحزَنوا وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ (139) إِن يَمسَسكُم قَرحٌ فَقَد مَسَّ القَومَ قَرحٌ مِثلُهُ وَتِلكَ الأَيّامُ نداولها بَينَ النّاسِ وَلِيَعلَمَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا وَيَمحَقَ الكافِرينَ (141) أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذينَ جاهَدوا مِنكُم وَيَعلَمَ الصّابِرينَ﴾

وتذكروا أن التمحيص في اللغة هو وضع الذهب في النار ليتنقى من الشوائب ويخرج صافياً وهكذا يُمحّص الله أولياءه عبر الابتلاءات ليخرجوا أقوى وأتقى وأنقى.

يقاطعهم صوت ضجيج من الشارع.

بعد تمعُن في الأصوات التي تتجادل يفطن يحيى بأن أحد الأصوات هي لوالده ويبدو من صوته أنهُ في انفعال كبير.

ينزل يحيى للشارع ليرى ما الوضع وهنا المفاجئة

أُناس كثيرون ، جنودُ مسلحون، طقومات (سيارات مفتوحة المؤخرة يستخدمها الجيش والمدنيين أيضاً)، وجوه يرتدي أصحابها أقنعةً سوداء.

يطلبون من الأب صعود البيت.

- إن لم تصعد الآن لتخبر نساء البيت بلبس البالطوهات (العبايات) ونزولهن حالاً فستجبرنا أن نصعد قسراً.

وهنا يقول الأب : على جثتي ستقتحمون البيت.

هنا يهُبُ الجنود لتقييد الأب وأخذه مقيداً لفوق الطقم وهو ينازعهم، هجم حينها يحيى مدافعاً عن أبيه فهجم له أحد كبار الجنود رتبةً ورماه على الجدار وقال له :

لو لديك بعض العقل فاذهب ونفذ ما طلبناه من أبيك قبل أن نضعك بجانبه لأن حينها سيكون الطريق خالياً لنا للصعود.

وهنا يهتاج يحيى متعاركاً معهم وبالفعل أخذوه لجوار والده مقيداً وانطلق الطقم متحركاً محمّلاً بهما وهما يتنازعان مع الجنود.

وهنا يُخرج الضابط هاتفه ويتصل :

نحتاج فرقة نسائية مسلحة حالاً.

ومر الوقت ببطء حتى أتت الفرقة النسائية

طبعاً أفراد المجتمع اليمني يقدسون حرمة البيت مهما كان سبب الاقتحام فالبيوت خط أحمر، لذلك فإن تهديد الضابط باقتحام البيت عنوة وبداخله النساء كان مجرد محاولة ضغط على والد يحيى.

وصعدت الفرقة النسائية مسلحة وبعد دقائق قُمنَ بالنزول مع نساء البيت.

يسأل الضابط زعيمة الفرقة : ألم تبقى أية امرأة في البيت ؟

- سألتُ الأم وقد قالت بأنهن نَزلنَ جميعاً ولم يبقَ أحد من نساء البيت.

هنا يصعد الجنود المسلحون بحماس وكأنهم ذاهبون لتحرير القدس.

يأخذون حذرهم أثناء صعودهم الدرج عبر توجيه الأسلحة صوبهم وكأنهم يلاحقون بابلو أسكوبار.

صوت صعودهم الدرج بتلك البيادات (الجزمات العسكرية)

التي هي أحسنُ حالاً من عقولِ بعضهم أثار ضجة كبيرة ذات رهبة.

يفتحون الأبواب بأيديهم ثم يقومون بركل الباب ويدخلون كالوحوش حتى وصلوا للغرفة المُنتظَرة

يدخلون الغرفة، تغزو الرهبة والتعجب جميع الحاضرين،

الطلاب يصرخون : ماذا يجري ؟ ماذا هناك ؟ لم نفعل شيئاً ما الذي حدث؟

ليجيبهم الضابط : ستعرفون كل هذا قريباً.

بشدة يأخذونهم

بحزم يقول الشيخ عدنان : سنمشي بمفردنا لا داعي لكل هذا وبعد توجيه الجنود نظراتهم للضابط وإيمائهِ برأسه أن نعم لهم ما طلبوا تركوهم وعلى وجوه الطلاب زمجرة عداء للجنود.

احتشد العديد من الناس حول البيت لرؤية ما الذي يجري، يقوم الجنود بمحاولة تشتيتهم وإبعادهم عن المنزل ولكن لا فائدة.

دارت ثرثرات عديدة تلك اللحظة كانت إحداها :

وأخيراً قاموا بسجن من أفسد عقول المسلمين وأضلّ شبابنا.

وثرثرة أخرى كان فحواها : أخيراً أراحونا وألقوا القبض على حضرة الشيخ الكافر.

نزلوا للشارع وهناك رآهم من لم تعرفوه (تذكروه)، وهناك ذُهِل ليس فقط مِن ما يجري أمامه من اقتحام البيت واعتقال الشيخ وطلابه بل كانت دهشتهُ الكبرى أن الشيخ كان يمشي وعلى وجهه ملامحُ اطمئنانٍ ورضىً لا توصف، وصدِّق أو لا تُصدِّق كان حينها رافعاً رأسهُ مُبتَسماً.

يُتبع ...

شُكر :

لمن ما أحببتُ اللغة العربية وتحديداً النحو إلا بعد أن درّستني، فقد احتجتُها كثيراً في عملية التدقيق اللغوي.

شُكراً Islam noor

شُكر آخر : لمن لم أرهُ ولم يرني قط على أرض الواقع، إلى من قرأ هذا الكتاب 3 مرات قام فيها بتحديد الكمات التي تعرضت لسهو إملائي

إلى : خطاب محمد المشجري

عسى أن يكون بيننا لقاء واقعي نتجاوز به بُعدَ أقصى شمال اليمن عن جنوبها .

ختاماً / تستطيع التواصل مع المؤلف عبر حسابه الخاص بالفيس بوك والذي يحمل اسم :

حسام الثور (Sam)

الفهرس

إهداء أول 4

إهداء ثاني 5

مقدمة 6

كومة تراجُع 7

وعي جديد 12

عقوبة إلهية 15

دين اللا رحمة 20

مع الغناء 24

حد الرجم 35

أسئلة الغروب 52

رسالة واتس أب 75

سؤال وإجابة 84

زائر الأسئلة 90

مع فارس 97

حارس المزرعة 116

ضجة! 125

درس مليء بالدروس 131

وقفة سريعة مع ما يُسمى بعذاب القبر 155

عودة من الوقفة السريعة نحو سياق سورتنا الحبيبة 163

استمرار مباشر من عمق الدرس 164

نهاية الفصل اللا أخير 169

وصفوا الكتاب فقالوا :

"في هذا الكتاب ستستمع لنقاش بين مجموعة شباب سلكوا درب الإلحاد وبين الشيخ عدنان الذي سيتولّى مهمة مناقشتهم بحكمة، هذا الكتاب لا يروّج للإلحاد بل على العكس يتناول شُبَه الملحدين والأسباب التي دفعتهم له ويناقشها بشكل واضح، هذه الصفحات ستعلّمك بإذن الله كيف تدافع عن دينك.

بدءًا بمسألة قسوة حد الرجم ووصولاً لمدى صلاحية الإسلام لإقامة دولة، خصوصاً ونحن نرى اليوم أن دول الإسلام هي دول متخلفة.

لا تنتهي الحكاية هنا ففي الجانب الموازي تجري حكاية مثيرة أخرى للشيخ عدنان مع طلابه.

هذا الكتاب يقدّم مادة فكرية ثقيلة بقالب أدبي بسيط يُناسب جميع طبقات القراء، وبالتالي فإن ما يجعلهُ مُهمّاً ومتميزاً هو الأسلوب البسيط والمُحكم في آن واحد أثناء تناوله للتناقضات الدينية وتفنيدها، كما أنه يعلّم القارئ أساسيات الحوار الفكري وتقبل الآخر، الكتاب ثري جداً بالمعلومات ولكنني أؤمن أن قوته ليست فقط في الأفكار التي يقدمها بل والأهم من ذلك في الأسلوب المنهجي الذي يطرحه في مناقشة الأفكار، و العقلانية في إصدار الأحكام، والموضوعية في مناقشة الأدلة.